KEY OF MYSTERIES
By
Carl Pfander

كتاب

مفتاح الأسرار

By PERMISSION OF
CHRISTIAN LITERATURE SOCIETY

٠١٢٣٤٥٦٧٨٩

تأليف

المرحوم الدكتور فندر البحاثة العظيم

-+--+--+--+--+--+--+--+--+--+--+--+-

قد هذبه وغيّره وأضاف عليه زيادات مهمة

جناب الدكتور سنكلير تسدل

المستشرق الشهير صاحب كتاب "ميزان الحق"

-+--+--+--+--+--+--+--+--+--+--+--+-

ومؤلفاته عديدة بالإنكليزية والعربية والفارسية ولغات الهند الخ...

طبعة ثانية ١٩٢١

حقوق الطبع محفوظة لمطبعة النيل المسيحية بمصر

www.muhammadanism.org
November 19, 2003

فهرست الكتاب

		صفحة
المقدمة		٥
الباب الأول	— البرهان على ألوهية المسيح	٢١
الفصل الأول	— البرهان من أقواله	٢١
الفصل الثاني	— شهادة الحواريين	٥٦
الفصل الثالث	— شهادة العهد القديم	٨٥
الباب الثاني	— حقيقة وإثبات الثالوث الأقدس في الوحدة الإلهية	١٠٨
الفصل الأول	— إثباته لما جاء في العهدين القديم والجديد	١٠٨
الفصل الثاني	— الإيضاحات المختصة بهذا السر الإلهي	١٢٨
الفصل الثالث	— أهمية تعليم الثالوث الأقدس	١٥٣

مفتاح الأسرار

(مقدمة)

حمداً وشكراً للواحد البار العزيز القهار ملك الملوك ورب الأرباب الأبدي الغير متغير الساكن في نور لا يُقترب إليه الذي لم يُر ولن يرى له القوة والمجد إلى الأبد آمين.

أما بعد، فإن الله تعالى الموجود في كل مكان الغير منظور الأبدي الكامل الحكيم القدوس القادر الجواد قد أعلن نفسه لعبيده أبناء البشر وتنازل من رحمته وحبه العظيمين أن يقترب منهم رغبة في إرشادهم إليه تعالى. فأرسل إليهم أنبياءه وبواسطتهم وهب العالم كلامه المقدس.

فمن أهم الأمور الضرورية في العالم لأولئك الذين يفتشون عن الحق ويودون أن يقتربوا من الله هو أن يعرفوا أنبياءه ليتوصلوا إلى معرفته تعالى بمطالعة كلمته التي استودعها أنبيائه. إذ أن سعادة الإنسان الحقيقية تتوقف على معرفة الإنسان لخالقه ولكن لا يمكن لأحد أن يعرف الله الغير منظور الذي يفوق تصوراتنا ولا تدركه عقولنا القاصرة إلا بواسطة إعلان الله عن نفسه. وإعلانه بواسطة أنبيائه متضمن في العهدين القديم والجديد.

إن الرب يسوع هو أعظم الأنبياء بل أعظم من نبي كما سنبين ذلك قريباً. وعلى كل إنسان يريد معرفة الله ويفتش عن الحق أن يجهد نفسه لمعرفة المسيح ولفهم ذاته الحقيقية ومقامه وجلاله وإذا وجد أثناء بحثه مساعدة لفهم هذه الحقائق فلا شك أن قلبه يطفح شكراً وسروراً.

لذلك كان غرض هذا الكتاب بمعونة الله مساعدة إخواننا المسلمين الذين لهم شديد الاشتياق لمعرفة الحق.

إن كاتب هذه الكلمات يعرف حق المعرفة أنه يوجد كثيرون من إخواننا المسلمين يعرفون قليلاً عن يسوع ويقولون أنهم يؤمنون به ولكن ظهر مما جاء في كتبهم ومن المحادثات الكثيرة معهم إن معرفتهم عنه ناقصة واحترامهم له ليس كما يجب.

إن إخواننا المسلمين يعتبرون المسيح نبياً كغيره من الأنبياء ويعتبرونه أحد الستة المرسلين أولي العزم الذين أتوا بوحي جديد ويعطون له ألقاباً أعظم مما يعطونها لغيره مثل "كلمة الله" و "روح منه" ولكنهم للأسف لا يعطونه مقامه الذي ذكره هو عن نفسه بوضوح وتكرار بل لا يقبلونه، فلذلك اعتقادهم في المسيح ناقص ويختلف كثيراً عن اعتقاد المسيحيين.

إن المسيحيين يؤمنون بموجب تعاليم المسيح ورسله أنه ليس أعظم جميع الأنبياء فقط بل وأعظم جميع المخلوقات في طبيعته ومقامه. وأن هذا الاختلاف في الرأي كان ولا يزال السبب الأهم في المنازعات التي قامت بين المسلمين والمسيحيين وأدت إلى عداوة مستحكمة بينهم.

والسبب الأكبر في قيام هذه المنازعات هو أن إخواننا المسلمين لم يدرسوا هذا الموضوع كما جاء في العهد القديم والعهد الجديد للاستفادة ولكن للتحامل وذلك لأنه قد انطبعت في عقولهم تلك الفكرة العميقة القائلة أن كتب اليهود والمسيحيين حُرفت أو على الأقل فسدت ولكن في "ميزان الحق" الجزء الأول والطبعة الجديدة، دحض المؤلف هذه الأقوال مظهراً لنا أن هذه الفكرة المبتدعة تناقض تعاليم القرآن وتباين الحقائق التاريخية. أما وقد زالت من أمامنا هذه العثرة، نرجو من أرحم الراحمين أن يستعمل هذه الكلمات لإظهار مقام يسوع الحقيقي وذاته الإلهية لإخواننا المسلمين الذين يقولون عنه أنه "كلمة الله".

من طبيعة مجرى الأمور يتضح أن البرهان على مقام المسيح وذاته يجب استنتاجه مما قاله عن نفسه ومن تعاليم الأنبياء والرسل عنه. ففي الباب الأول من هذا الكتاب إيضاح تام لمعنى "ألوهيته" من الكتاب المقدس. ولكن قبل الخوض في ذلك يجب أن نذكر بعض الصعوبات التي ربما يقع الإنسان فيها فيصعب عليه فهمها. وهنا أوجه أنظار حضرات القراء إلى بعض التعاليم التي نراها في كتبهم حتى تمكنهم من فهم ما سنجيء به من الكتاب المقدس.

ولا ضرورة لأن نذكر أن في إشارتنا إلى كتب المسلمين لا نقصد استعمالها كبرهان على حقيقة التعاليم التي نتعلمها من الكتاب المقدس لأننا إذا عملنا ذلك نكون قد خالفنا قواعد المنطق، ولكننا نستعملها كي نبرهن لهم من كتبهم أن ما نؤمن به ليس بكذب وبهتان كما يدعي الكثيرون من أعداء المسيحية.

ومن المعلوم أن القرآن لا يشهد فقط بعظمة يسوع ومقامه ولكنه يلقبه أيضاً بألقاب أعظم من ألقاب بقية الأنبياء والرسل وذلك يراه المطلع بإمعان ظاهراً واضحاً عند قراءة الآيات القرآنية التي تختص بالمسيح واتفقت على ذلك أحاديث كثيرة أيضاً ولكنا الآن نكتفي بآيتين ذكرهما القرآن الأولى في سورة الأنبياء آية ٩١ إذ يقول عن أم يسوع ربنا التي سماها مريم ابنة عمران "والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا" والآية الثانية في سورة النساء ١٦٩ "وإنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه". (يلاحظ قوله منه ولم يقل من عنده معناه أنه من ذاته وليس من عنده فقط وهذا يوافق ما جاء في الإنجيل تمام الموافقة راجع (يوحنا ٨: ٤٢ و١٥: ٢٦)

فمن شهادة هاتين الآيتين القرآنيتين يرى إخواننا المسلمون أن القرآن يعلمهم أن المسيح لم يُحبل به كغيره من أبناء البشر ولكن بالعكس أنه وُلد من العذراء مريم بدون أب بل بقوة الله وبروح منه ونلاحظ أيضاً أن القرآن يقول أن المسيح هو نفسه كلمة الله وروح منه. ولم يذكر القرآن قط ألقاباً كهذه لأحد غير يسوع فهو يشهد بصريح العبارة أن المسيح يفوق عظمة عن جميع الأنبياء وبالتالي عن جميع أهل العالم. ونعلم نحن المسيحيون من الأناجيل أن ذلك من الحقائق التي لا تدحر فإنجيل متى وإنجيل لوقا يعلماننا أن المسيح وُلد بقوة الروح القدس من مريم العذراء بدون أب بشري (اقرأ متى ص١ عدد ١٨-٢٥ ولوقا ص١ عدد ٢٦-٣٥) وفي إنجيل يوحنا ص١ عدد ١-٤ يقول "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس."

ذلك هو النص الواضح، فعبثاً نحاول أن نسمي يسوع كلمة الله بدون ألوهيته لأن هذا اللقب يتضمن الألوهية ولا شك أن القرآن ينكر ألوهية المسيح ولكن ليس غرضنا هنا أن نشير إلى التناقض والتباين الظاهرين في القرآن، فلذلك لا نهتم بإنكاره ولكن نقتبس قول عبد القادر الجيلاني الصوفي الشهير عن ما مر من الآيات القرآنية ما معناه "أن مظهر عيسى بالنسبة لباطنه هو بمثابة احدية جمع الحضرة الإلهية فلذلك سُمي روح الله". وعليه فالمسيح هو من الروح الكامل الذي هو إعلان اسم الله التام (أوكل صفاته) ومع هذا فإننا لا نتخذ هذا القول ولا الآيتين القرآنيتين السابقتين ذريعة نتذرع بها للبرهان على ألوهية المسيح فإننا لم نبدأ بعد في التكلم عن ألوهيته وسيجيء الكلام عن ذلك مفصلاً في الفصل الأول من هذا الكتاب وهذا ليس إلا مقدمة له.

لا يوجد في القرآن ولا في الحديث ولا في كتب الأئمة شيء له أدنى قيمة لإثبات ما يلزم إثباته. بل في الوحي أي في الكتاب المقدس نجد هذا التعليم الحيوي المهم مبرهناً بأقوى البراهين وبأدلة تامة لإقناع كل مؤمن بالمسيح. وسنكشف عنه الغطاء بنعمة الله ومساعدة روحه. وحيث أن عقيدة المسيحيين المختصة بالثالوث الأقدس مرتبطة تمام الارتباط بألوهية المسيح ربنا، عز منا بمساعدة الرب أن نوضح ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس عن ذلك. ولكي نتثبت من هذا التعليم، لا نأتي بأدلة فلسفية عقلية، بل نقول ما أعلنه الله لنا في كتابه العهد القديم والجديد. أما إذا أشرنا إلى آراء الفلاسفة وأمثال الطبيعة والفسيولوجيا فليس لإثبات التعليم بل حباً في محو التعصب ودحض الآراء الفاسدة التي تمنع الناس عن قبول ما أعلنه الله في كتابه.

لأن ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث الأقدس في توحيد الذات الإلهية هي من أسرار الله ولا يمكن لبشر مهما كان له من الحول والقوة الفكرية أن يتوصل إلى إدراك تلك الأسرار الإلهية لأنها غير محدودة ويستحيل على المحدود إدراك غير المحدود، فلا يمكن للعقل البشري أن يأتي ببراهين كافية تجعله قادراً على رفض أو قبول هذه الأسرار ولهذا قال علي بن أبي طالب "من سأل عن التوحيد فهو جال ومن أجاب عنه فهو مُشرك". فهل يمكن للإنسان الضعيف العقل أن يدرك أسرار الله الغير المحدودة المختصة بذاته المقدسة وهل يستطيع رجل أن ينكر أن نور عقل الإنسان ما هو إلا ظلام دامس حينما يقاس بالنور الذي لا يُقترب منه الساكن فيه إله النور القدوس. إن الإنسان بعقله لا يمكنه أن يعلل الظلام الحائم حول وجوده ولا يمكنه أن يوضح سر ذاته ولا يقدر أن يفهم أسرار قلب غيره. إذا حملق إنسان في الشمس أظلمت عيناه وهكذا إذا خُيل للإنسان أن يدرك بمسبار عقله سر الذات المقدسة الشمس الروحية الحقيقية كانت النتيجة أن يرى أمامه ظلاماً أقتماً. فإن الشمس والقمر والنجوم في كل أنوارها ما هي إلا نقطة ماء في أوقيانوس إذا قيست بشمس البر وذرة من مقدار عظمته. ولقد سُئل أحد العلماء قديماً "ما هو الله؟" فأجاب معترفاً "إنه كلما أكثر في البحث عن هذا السؤال كلما أبعد عن الجواب."

وهكذا كل عالم في زماننا إذا اتكل على قوة ذاكرته في إدراك الله لا يسعه إلا أن يقول كما قال ذلك العالم من قديم الزمان.

ونستنتج مما تقدم أنه لو لم يعلن الله لنا ذاته في كتابه لما أمكنا أن نستدل على الحقيقة بشيء ومع وجود هذه التعاليم الصريحة المختصة به تعالى، نرى أن الإنسان لم يزل عاجزاً عن إضافة شيء على ما أجيء به من الله. بل أن مجموع ما قالته العلماء وما سيقولونه عن الذات الإلهية مؤسساً على فلسفتهم وعلمهم فكلمة الله وتعاليم يسوع تفوق أقوالهم بغير حد. إلا أن ما لا يمكن للإنسان أن يكتشفه بنفسه يجب أن يقبله ويؤمن به إذا أعلنه الله تعالى له. أما إذا رفض الإنسان ما أعلنه الله تعالى لكبريائه فهو يدين نفسه ويكون في نظر الله مسئولاً عن جهله وعماه بإرادته.

لا ننكر أنه توجد بعض المواضيع في كلام الله لا يمكن للإنسان بعقله الضعيف المحدود أن يدركها تماماً فالإنسان عاجز عن إدراك تلك الذات الحية الأبدية وتلك الحكمة الغير المتناهية والغير المحدودة فكل ما عنده من المعرفة والعلم مبني على ملاحظاته الخارجية واستدلالاته الداخلية.

مثال ذلك أن الإنسان يستدل على وجود الخالق مما يراه من القوة والحكمة الظاهرتين في الخليقة ومما يراه من الذكاء والمحبة والعدل والرحمة والصفات الأخرى الكثيرة الموجودة على نوع

ما في أبناء البشر. فإذا نسبنا هذه الصفات بأكمل معانيها للخالق جل وعلا يمكنا أن ندرك بعض الإدراك معنى وجود هذه الصفات في الله تعالى. ورجال العلم عالمون أنه توجد في الخليقة الغير المنظورة وبالتالي في ذات الله المقدسة أمور مهمة عديدة ونقط مخصوصة يعجز الإنسان عن إدراكها تمام العجز لعدم وجود مثيل لها في هذه الدنيا المنظورة. وحتى لو أعلن الله لشعبه هذه النقط وتلك الأسرار الغير المدركة فلا يمكن للإنسان فهمها بل وغير ممكن لنا، ما دمنا في هذا العالم، أن نرى تلك الأسرار واضحة وجليلة إذ لا نرى لها مشابهات تقربها إلى فهمنا. مثلاً إنساناً مولوداً أعمى فهو بالطبع لا يفقه لنور الشمس معنى فإذا اجتهدنا بكل قوانا أن نصف له الشمس ونورها فغالباً لا يفهم الشرح ولا يدرك الشمس ولا نورها ولا قوة البصر في الآخرين. إلا أنه بما له من الحواس الأخرى ربما يمكنه أن يتصور شيئاً ضعيفاً جداً عن ماهية الشمس ونورها لكن لو أنكر بسبب عماه وجود حاسة البصر في غيره وأنهم يرون شيئاً لا يراه، فهل يُحسب إنكاره ذكاءً مفرطاً؟ كلا بل هو عين الجهل ومع هذا فجهله وعناده لا يبررنا إذا تركناه في خطر محيق به ولا نرشده إلى الطريق المستقيم.

واضح أن ذات الله المقدسة الغير المنظورة لا شبيه لها في الوجود ولذلك من الصعب علينا أن ندرك حتى معنى كلام الله في هذا الموضوع. ولكن لو لم تكن هذه المعرفة ضرورية لما كان الله، إله الحكمة والمعرفة، أعلنها لنا في كتابه ولكن حيث أن هذا التعليم الموجود في الكتاب المقدس عن لاهوت المسيح وعن سر الثالوث الأقدس في توحيد الذات الإلهية قد أعلنه الله على فم أنبيائه فهو نافع لنا جداً ولازم لنا تعلُّمه. لا شك أن هذه الأسرار الإلهية فوق إدراكنا المحدود ولكن لا يجب أن يكون هذا سبباً في تصورنا أنه يخالف العقل. إن ذلك لا يمكن أن يكون لأن مُعلن هذه الأسرار هو الإله العظيم مُوجد العقل وخالقه. إن أنكر الإنسان هذه الأسرار بحجة أن العقل عاجز عن إدراكها فهو يشبه رجلاً أعمى ينكر وجود الشمس لأنه لا يراها ولا يمكنه فهم معناها. إن ذلك الذي ينكر الأشياء التي يعجز عن إدراكها عقله ويرفض كلام الله المقدس الذي هو فوق إدراكه يفضل عقله وعلمه على كلام الله تعالى. ذلك الإنسان بغطرسته وكبريائه يضع نفسه في مقام أعلى من مقام الله العلي العظيم وقد أغواه الشيطان ووسوس له أن الله ليس بأعظم منه في الحكمة والمعرفة حتى يعلن كلاماً يعجز عن إدراكه الإنسان (وقانا الله من شر هذا الكفر المبين).

إن في العالم أموراً كثيرة لا يقدر الإنسان على إدراكها فهل ينكرها ولا يؤمن بها لأنه لا يدركها؟ إن مثله يكون مثل ذلك الفيلسوف في الزمن القديم الذي ظن أنه حاز كل الحكمة في قوله "إني لا أعرف شيئاً قط حتى أني لا أدري أني لا أعرف" فهو غير شاعر بجهله. إن من لا يؤمن بشيء غير مُدرك هو بالضرورة ينكر وجود الخالق لأن ذات الله ووجوده هما فوق إدراك

العقل البشري. كان يجب على ذلك الإنسان أن ينكر وجود نفسه أيضاً لأنه لم يفهم بعد ولن يفهم كيف أوجده الله في رحم أمه وماهية روحه وكيف ارتبطت بجسده. على هذا المبدأ كان يجب عليه أن ينكر حقيقة ألوف الأشياء التي ينظرها بعينه كل لحظة وظاهرة أمامه ظهور الشمس في رابعة النهار لأنه لا يدرك ذاتها أو قوتها الداخلية وفاعليتها الخارجية.

إن مثل المتكل على العقل دون الوحي مثل تلك الدجاجة التي صورها مصور واقفة وناظرة إلى ورائها حيث قشة البيض التي خرجت منها حالاً لاصقة بها وهي تقول "لا يمكنني أن أعتقد أني خرجت من هذه القشرة."

هل أمكن لأني إنسان عاقل أن يكتشف بقوة علقه كيف تصير الحبة الصغيرة شجرة كبيرة ومن هذه الشجرة يخرج ألوف من الحبوب ولها نفس قوة وفاعلية الحبة الأولى؟

بل مَن من الناس يمكنه أن يشرح أن نباتاً ينبت بتربة واحدة ويُسقى من ماء واحد ويستنشق هواء واحداً وتطلع عليه شمس واحدة ينتج أثماراً متنوعة وألواناً مختلفة وخواصاً متباينة؟

بل كيف يمكن لعين الإنسان الصغيرة أن ترى حتى الأفق؟ نحن نعرف كيف تقع الأشباح الخارجية على شبكة العين فترسم صورة لها ولكننا لا نعرف كيف تنتقل تلك الصورة إلى المخ إلا أن يكون العصب العيني يعمل عمل سلك التلغراف، ولما يصل إلى المخ تأثير الشبح الخارجي كيف ينتقل من المادي إلى نفس الإنسان الغير مادية فيقول أنا نظرت كذا؟ هذا ما لم يمكن لأحد إلى اليوم أن يفسره. فهل يعتبر المسلم أو المسيحي الرجل عاقلاً إذا كان لا يعترف بوجود حاسة البصر في الإنسان لأنه لا يمكنه أن يعللها؟

كذلك الطعام الذي نأكله إن كان صحياً وكان جسمنا سليماً فلابد أن يكون هذا الطعام مقوياً لأجسادنا منعشاً لها معطياً كل عضو القوة التي يحتاجها.

والأطباء اليوم يفسرون عملية الهضم ويشرحونها شرحاً وافياً ولكنهم هل يجهلون أن عملية الهضم قد سارت سيرها الطبيعي قبل أن يعرفها أولئك الأطباء بألوف من السنين ولكن ماذا تظن في رجل يقول أنه لن يذوق لقمة قبل أن يفهم عملية الهضم تماماً!

قد حار العلماء قديماً مدة قرون طويلة في الأرض والشمس والنجوم التي رغماً من حجمها وثقلها الهائلين بقيت معلقة في الفضاء تدور دواماً بانتظام لا تبتعد عن الطريق المعين لها من يوم خلقتها قيد شبر. أما الآن فقد توسع الناس في درس علوم الفلك وتوصلوا إلى معرفة نظامها وهي مازالت محفوظة بقدرة الخالق. وإن معرفتنا هذه الأجرام ليست متعلقة بمعرفة نظامها ولا

تساعدنا في فهم غرض الله في خلقها وسنة لها قوانين لا تتعداها. فهل يبررنا عقلنا بعدم الاعتقاد بدوران الأرض حول الشمس لأننا لا نفهم تماماً خاصة حفظ هذه الأجرام لقوانينها وسر الجاذبية في النظام الشمسي؟

إن في موجودات الله أسراراً كثيرة غامضة لا يؤمل عقل الإنسان في هذه الدنيا إدراكها تماماً وعليه فقد أرانا الله أن صفحات كتاب الطبيعة تتضمن أسراراً عديدة غامضة تفوق إدراك عقولنا فلا غرابة أن يكون كلام الله المعلن لنا في كتابه مملوءاً من الأسرار الغامضة وأن كل شخص لا يصدق أسرار الله المعلنة لعدم فهمه إياها ولا يرغب في قبول كلامه لما فيه من الأسرار لا يكون إلا جاهلاً شريراً. وأنا نرجو من الله تعالى أن يكون الباحث في الحق بعيداً عن هذه السخافات.

وليُعرف أن الله العليم الحكيم أعلن في كلامه بعض الأسرار المتعلقة بذاته المقدسة والواجب على عبيده قبولها والإيمان بها حتى ولو أشكل عليهم فهمها.

وحيث قد بيّنا هذه الحقائق الضرورية في مقدمة موضوعنا، بقي علينا بمشيئة الله ومعونته أن نقدم البرهان من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد على ألوهية المسيح ربنا ووجود الثالوث الأقدس في وحدة الذات الإلهية. وإذا ظن أحد القراء أنه قد حصل على بعض التغيير والتبديل في العهدين القديم والجديد، فأنا نشير عليه أن يتصفح الفصل الأول من الجزء الأول من كتاب ميزان الحق ففيه الكفاية للرد على هذه الظنون التي لا أساس لها.

وسيحتوي هذا الكتاب على قسمين رئيسيين نتكلم في أولهما عن ألوهية المسيح ربنا وفي ثانيهما نوضح بإجمال تعاليم الثالوث الأقدس ونبرهن حقيقتهما ولكن بما أن الله القدير وحده ولا سواه يقدر على تطهير قلب الإنسان النجس وإنارة عقله المظلم فيهبه الفهم الروحي ليدرك به الأمور الروحية ويؤمن بما أعلنه له في كتابه، فنتوسل إليه تعالى بقلوب خاشعة خاضعة أن ينير بصيرة القارئ الكريم ويرشده إلى سواء السبيل.

إنه ليستحيل على الإنسان أن يدرك أعمال الله العظيمة وكلامه المُعلن ما لم يؤت له بنور من الأعالي إذ "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً." (١كورنثوس ٢: ١٤و١٥). إن الله العارف مخبآت القلوب لا يلزم أحداً بالإيمان ما لم يكن هو راغباً فيه ويسوع نفسه أعلن في الإنجيل الطريقة التي بدونها لا نجد الحق قال "إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله" (يوحنا ٧: ١٧). وهو برحمته ومحبته يريد "أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون." (١تيموثاوس ٢: ٤).

أيها الأخوة إن الله لابد أن يهبكم نور هدايته إذا سلكتم في هذا الطريقة رغبة في الحق وحينئذ تستطيعون أن تدركوا حقيقة هذين التعليمين العظيمين. وإذ تعرفون الحق تعرفون يسوع ومقامه الحقيقي فتؤمنون به من كل قلوبكم وبه وحده تنالون الخلاص الأبدي.

القسم الأول

في البرهان على ألوهية الرب يسوع

يحتوي هذا القسم على ثلاثة فصول ففي الفصل الأول نبرهن على ألوهية المسيح بما جاء في أقواله وتعاليمه وفي الفصل الثاني نأتي بشهادة الرسل الحوارين مما جاء في العهد الجديد وفي الفصل الثالث نبرهن على ألوهية المسيح بما جاء في العهد القديم عن المسيا الموعود به.

الفصل الأول

في البرهان على ألوهية المسيح مما جاء في أقواله

إذا كان يسوع المسيح له الحق في هذا اللقب لقب "إله"، فلابد أن نجده يطالب به حتى لا يبقى للناس شك في أنه اعترف نفسه بألوهيته ومن الوجهة الأخرى أنه إذا كان حقيقة أدعى هذا اللقب فلا يمكننا أن ننكر صدق دعواه هذه وهذا ما حصل فعلاً لأننا لما ندرس في البشائر الأربع وفي سفر الرؤيا يتضح لنا أن يسوع المسيح لم يفصح عن ذاته ويعترف بلاهوته للرسل (الحواريين) فقط ولكنه صرح بذلك أيضاً أمام اليهود وشيوخهم أعدائه الألداء حتى أنهم بسبب دعواه هذه أرادوا رجمه وقتله كما هو مدون في الإنجيل.

وفي بحثنا في هذا الموضوع سنورد أولاً بمعونة الله الآيات التي أدعى فيها المسيح لنفسه الصفات الإلهية أو استعمل لنفسه كلمة "إله" أو سمح لغيره باستعمالها له. ثانياً نذكر الآيات التي يؤكد فيها بنوته لله. وثالثاً نأتي بالآيات التي تكلم بها ملاك أو صوت من السماء يدعونه فيها ابناً لله. ولكن منعاً للتطويل يحسن بنا أن نذكر آيات النوعين الأول والثاني معاً لأنه كثيراً ما تتكلم الآية الواحدة عن ألوهيته وبنوته وسنوضح بعدئذ معنى "ابن الله" منعاً لسوء التفاهم. ولكن يجب أولاً أن نبين أن هذا اللقب قد أُعطي في العهد الجديد للسيد يسوع ولكي نوضح ما تعلمه لنا آيات العهد الجديد يجب أن نبحث في مجموعة العهد الجديد كله وندرسه بإمعان واحترام

وبصلاة حارة متواضعين طالبين من إلهنا الرحيم أن يساعدنا على فهم ما أعلنه لنا. ونحن هنا نذكر بعض آيات من البشائر التي قالها المسيح عن نفسه وعن ذاته وعن علاقته بالله وعن صفاته الإلهية وعند ذلك يمكن للقارئ الذي يصغي إلى الحق أن يتأكد أن المسيح ربنا كلمة الله أدعى لنفسه بتكرار ومهابة هذا المقام الأسمى الذي لا يستحقه غيره.

(أولاً) – (١) إن من الصفات الإلهية التي إدعّاها وعمل بها هي مغفرة الخطايا (اقرأ متى ٩: ١–٨ ومرقس ٢: ١–١٢ ولوقا ٥: ١٧–٢٦) عن شفاء المفلوج في كفرناحوم. لما احضر الشعب ذلك المريض إلى يسوع المسيح فعوضاً عن أن يشفيه في الحال قال له يا بني مغفورة لك خطاياك. ولكن كان الكتبة والفريسيون الحاضرون "يفكرون في أنفسهم قائلين لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده" فواضح من هذا أنهم علموا أن الرب يسوع أدعى عمل ما لا يمكن أن يعمله أحد إلا الله وحده وحيث أنهم لم يؤمنوا به نسبوه للتجديف ولكن أثبت لهم المسيح أن له سلطاناً ليغفر الخطايا وأثبت حقيقة ألوهيته بسبب معجزة شفاء المفلوج الذي هو مرض يعجز عن شفائه الطب والعلم إلى يومنا هذا. وقد شفي المسيح هذا المفلوج بكلمة واحدة من فيه شفاءً تاماً مظهراً أن له قوة تفوق قوة البشر. قد قال "ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط" (مرقس ٢: ١٠–١٢). بهذا أظهر المسيح بقدرته الإلهية على الشفاء أنه لم يجدف بل أدعى حقيقة ناصعة هي مغفرة الخطايا إحدى صفات الله.

وعلاوة على ذلك أن المسيح بتسميته نفسه "ابن الإنسان" أدعى لنفسه مقاماً سامياً يفوق جميع الأنبياء والرسل وهذا مأخوذ من كلام النبي دانيال عن تأسيس مملكة الله على الأرض حيث يقول

"كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض." (دانيال ٧: ١٣و١٤).

(٢) في بشارة يوحنا خصوصاً أقوال قالها المسيح عن دعواه منها قوله "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا ١٤: ٦). نعم أن المسيح بين أنه يوجد فرق على نوع ما بينه وبين الآب ولكنه يؤكد أنه لا يمكن معرفة الله إلا بواسطته هو لا سواه وهذا يوافق كل الموافقة ما قاله المسيح عن نفسه في (متى ١١: ٢٧ ويوحنا ٣: ٣٥و٣٦و ١٧:

٢). وما ذكره عنه الرسل في (روميه ٥: ١و٢ وفيلبي ٢: ٩ وعبرانيين ١٠: ١٩-٢٢). فحقاً هو الطريق.

وكذلك هو الحق ذلك اللقب الذي يعتبره إخواننا المسلمون أنه أحد الألقاب الإلهية وأيضاً يدعي أنه الحياة وأظهر ذلك إذ قال بعد أن أقام اليعازر من الأموات "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد." (يوحنا ١١: ٢٥و٢٦).

(اقرأ يوحنا ١: ٤ و٣: ٣٦ و٥: ٢٦و٤٠ و٦: ٣٣و٣٥و٣٨) وهو الحق لأنه يقول في (مرقس ١٣: ٣١) "السماء والأرض تزولان لكن كلامي لا يزول" ويوافق على هذا القول أشعياء في نبوته (٤٠: ٨) "يبس العشب ذبل الزهر أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد" (قابل يوحنا ٧: ٤٨).

(٣) إن من الأمور الواضحة المفصلة في العهدين القديم والجديد أن الله هو الإله الواحد المعبود لا سواه يستجيب الدعاء وهذه هي إحدى الصفات الإلهية الخصوصية. وقد وعد يسوع المسيح أن يستجيب الدعاء بلاهوته ولذا قال لتلاميذه في (يوحنا ١٤: ١٣و١٤) "ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله."

(٤) والحياة هي عطية الله فهو الإله الحي وهو وحده يعطي الحياة للآخرين. قال يسوع عن نفسه "أنا هو الأول والآخر والحي" (رؤيا ١: ١٧و١٨) هنا تلقب المسيح بثلاثة ألقاب إلهية كما يتضح من هذه الآية الكتابية نتكلم على الأخير منها. فكونه الحي يجعلنا نفهم أنه المصدر الذي تستمد منه المخلوقات حياتها وعليه يعلمنا أن الإيمان به ضروري للحياة الروحية في قوله "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣). وقال عن نفسه أيضاً أنه خبز الحياة ففي (يوحنا ٦: ٣٥) قال "أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً." وخوفاً من سوء فهم هذا الكلام وضحه يسوع بأنه يقصد المعنى الروحي كما جاء في (يوحنا ٦: ٦٣) "الروح هو الذي يحي أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة." فبالإيمان به إيماناً صادقاً نجد فيه الحياة لأنه يقول "الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية" (يوحنا ٦: ٤٧). ولكي يوضح لنا ذلك علمنا أن الإيمان الصادق يجعل المؤمن ومخلصه واحداً بمعنى روحي ويشعر المؤمن إذ ذاك أن يسوع طعامه الروحي كما هو مكتوب "أنا هو خبز الحياة. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز

يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦: ٤٨-٥١).

ولما ازدرى اليهود بهذه الأقوال كرر عليهم القول قائلاً "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٥٨).

وإني لا أظن بعد ذلك أن أحداً من القراء يشك في أن يسوع أدعى لنفسه بعض الصفات الإلهية التي تفرد بها وأكثر من ذلك نجده وهو يعلم تلاميذه يقول لهم أنه سيقدم حياته الثمينة ويموت باختياره لأجل العالم ليعطيه الحياة وقد مات المسيح كفارة عن الخطية ليعطي الحياة الأبدية لكل من يؤمن به (راجع عبرانيين ١٠: ١-١٠).

(٥) إن إخواننا المسلمين يؤمنون كما يمؤمن المسيحيون بقيامة الموتى وهذا واضح تمام الوضوح في كتابنا المقدس ولنعلم كل العلم أن هذه الصفة لا تكون أبداً إلا في الخالق جل وعلا ولذا فلما نجد يسوع مراراً يعلم تلاميذه أنه سيقيم الموتى في اليوم الأخير يجب علينا أن نتأكد أنه يقصد بذلك إعلان ذاته الإلهية خصوصاً بعد أن قال أنه نفسه سيدين العالم ونأتي هنا ببعض الآيات فيتضح لنا ما قد خفي علينا ففي (بشارة يوحنا ٥: ٢١و٢٢و٢٤-٢٩) يقول

"لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن... الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة، الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون، لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة."

وقال في (إنجيل يوحنا ٦: ٣٩و٤٠) "وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير."

هنا يمكنا أن نرى توفيق الإرادة العلوية ووحدة العمل الذي بين الآب والابن في اتحاد اللاهوت ويعلمنا أيضاً يسوع أنه معطي الحياة كما ذكرنا قبلاً في (يوحنا ١١: ٢٥) إذ يقول "أنا

هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا." "يسوع المسيح أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢تيموثاوس ١: ١٠) وما يسميه الناس موتاً ويخافون منه يسميه المسيحيون رقاداً. اقرأ عن استفانوس (أعمال ٧: ٦٠) أن الموت ما هو إلا دخول الروح إلى الفردوس لتكون مع المسيح. فالمسيحي الحقيقي إذاً أنقذ من الموت وهو يقول مع القائل "ابتلع الموت إلى غلبة أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بيسوع المسيح" (١كورنثوس ١٥: ٥٧).

(٦) يقول المسيح أيضاً عن نفسه بمعنى روحي أنه نور للنفوس ولذلك قال في (يوحنا ٨: ١٢) "أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة." ويقول أيضاً في (يوحنا ١٢: ٤٦) "أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" ولكي نفهم ذلك جيداً لنرجع إلى شهادة يوحنا نفسه التي ألهمه إياها الروح القدس إذ قال في (يوحنا ١: ٤و٩) "وفيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ... كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" وقد قال أشعياء النبي موافقاً على هذا الكلام "الرب يكون لك نوراً أبدياً" (أشعياء ٦: ٢٠). هذه الكلمات قالها وكتبها النبي أشعياء قبل مجيء المسيح بأجيال عديدة وقد عرفها أتقياء اليهود المعاصرون لهذا الزمن –فما ذكرناه من أقوال المسيح عن نفسه أنه نور العالم يظهر لنا حقيقة مقامه الأسمى وذاته العلية.

(٧) أظهر المسيح ذلك أيضاً بطريقة غامضة نوعاً ما إذ قال لليهود في (يوحنا ٨: ٢٣) "أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم." ولكي لا نشك في هذا الكلام قال في (يوحنا ٨: ٤٢) "لأني خرجت من قبل الله وأتيت." وقال لتلاميذه في يوحنا ١٦: ٢٧و٢٨) "لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت –خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب."

وقد عرف يوحنا المعمدان هذه الحقيقة وكان يعّلم قائلاً "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع وما رآه وسمعه به يشهد" (يوحنا ٣: ٣١و٣٢). ومع أن هذه الكلمات وحدها لا تثبت ألوهية يسوع المسيح إلا أنها تبرهن أنه جاء من السماء ومن عند الله وأنه ليس كغيره من الأنبياء كموسى وداود وإيليا ويوحنا المعمدان– هذه العبارة مقتطفة من تعاليم كثيرة حولها لإثبات لاهوت المسيح ولا يمكننا فهمها إلا إذا كنا نفهم التعاليم الأخرى الخاصة بذلك وعندئذ يتضح لنا تماماً معنى قوله "أن المسيح جاء من عند الله" أو كما يقول المسلمون أنه روح.

(٨) يعلمنا يسوع المسيح أن محبتنا له عنوان الولادة الروحية الجديدة وهي ضرورية لدخول الملكوت بدليل قوله في (يوحنا ٣:٣) "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" ولما قال له اليهود "لنا آب واحد وهو الله" قال لهم المسيح "لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني" (يوحنا ٨: ٤٢). بذلك أظهر المسيح أن بغضهم له دليل على أنهم أولاد إبليس وليسوا بأولاد الله كما أعلن لتلاميذه أنه بسبب إيمانهم به ومحبتهم له أصبحوا مقبولين لدى الله ومحبوبين في عينيه وقد قال المسيح في (يوحنا ١٥: ٢٣) "الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً" وكل هذه الآيات إنما تظهر الصلة التي تربطه بالله ويجدر بنا هنا أن نلاحظ أنه يثبت بنوته بقوله أن الله آب له.

(٩) ويوضح المسيح أكثر مما مضى أنه لم يكن كائناً سابقاً فقط بل أنه كان قبل خلق العالم مع الله أبيه وهو يستعمل لنفسه اصطلاحاً لا يصح لغيره البتة. ولفهم تلك الحقيقة التي بيّنها نذكر بعض الآيات من الإنجيل. قال لليهود "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يوحنا ٨: ٥٦) فاندهش اليهود في ذلك الوقت ولم يفهموا أنه هو المسيا الذي وعد الله به إبراهيم خليله وقد رآه بعين الإيمان فقال له اليهود هازئين "ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم (يوحنا ٨: ٥٧) فقال لهم المسيح "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" ومعنى الفعل "يكون إبراهيم" أي قبل تكوينه في الوجود ومعنى "كائن" هنا أن المسيح يبين أزليته وأنه غير متغير وهذا واضح من قوله "أنا كائن" ولم يقل أنا كنت أو جئت إلى الوجود وقال ميخا النبي في ذلك "أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا ٥: ٢) وقد اختار الله لذاته هذا اللقب في التوراة لما ظهر لموسى في وسط العليقة المشتعلة بلهيب النار وأمره أن يذهب إلى مصر إلى فرعون ويخرج شعب إسرائيل ولما سأله موسى عن اسمه كان جواب الله لموسى "اهيه الذي اهيه وقال هكذا تقول لبني إسرائيل اهيه أرسلني إليكم" (خروج ٣: ١٤). إن الكائنات بأكملها تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث زمانها ماض وحاضر ومستقبل وجميعها عرضة للتغير والتبديل وأما الواحد الأبدي فليس له ماض ولا مستقبل بل حاضر أبدي- ولما قال يسوع المسيح عن نفسه "أنا كائن" أثبت ألوهيته بكل صراحة وهذا واضح ليس فقط من معنى كلماته ولكن من الرموز الكثيرة التي وردت في الكتاب المقدس وقد فهم اليهود ذلك ولم يؤمنوا بكلامه وحسبوه مجدفاً "فرفعوا حجارة ليرجموه" (يوحنا ٨: ٥٩). إنه من الأهمية بمكان أن نفهم ذلك لأنه يدلنا على مقدار فهم اليهود لكلامه أيامئذ ولسنا بمخطئين إذا قلنا أن أقواله كانت برهاناً قاطعاً على صحة ألوهيته ولقد اجتهد بعض المسلمين أن يشرحوا قوله هذا بأن أرواح البشر كلها كانت موجودة من وقت الخليقة قبل مجيئها لهذا العالم ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه الآراء مع عدم وجود الأدلة المثبتة لذلك فالصعوبة واقفة لنا بالمرصاد فأنه لو سلمنا أن جميع الأرواح

خُلقت معاً فلا يكون أحدها متقدماً عن الآخر وبالتالي إذا كانت هذه الأرواح قد وُجدت قبل أن تتجسد وتولد بأمد قصير واعتبرنا يسوع المسيح إنساناً كسائر البشر، فكيف يكون المسيح كائناً قبل إبراهيم وهو من نسله بحسب الجسد فهو القائل "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"؟ ذلك مما يجعلنا نعتقد أن المسيح ليس كسائر البشر وهذا برهان ساطع على صحة طبيعته الإلهية ومما يزيد البرهان صراحة قوله وهو يصلي قبل صلبه "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا ١٧: ٥). إذ لا يمكن لبشر أن يقول قولاً كهذا لأنه لم يكن أحد ما كائناً قبل كون العالم لأن خلق الإنسان حصل بعد تكّون العالم فلا يتجاسر أكبر الرسل ولا أعظم الأنبياء أن يقول عن نفسه أنه كائن قبل الخليقة وله نصيب في مجد الله الذي كان قبل كون العالم. اقرأ (تكوين ١و٢) ولكن في الإنجيل أظهر المسيح حقاً أنه كائن قبل العالم وفي هذا دليل كاف على إثبات لاهوته الذي ادعاه لنفسه.

(١٠) وقد أثبت المسيح ألوهيته أيضاً لما له من السلطة على السماء والأرض إذ لما أمر تلاميذه ليذهبوا وينشروا كلمة الإنجيل في جميع أنحاء المسكونة قال لهم "دُفع لي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" وفي صلاته الشفاعية في الليلة السابقة لصلبه "رفع يسوع عينيه إلى السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته" (يوحنا ١٧: ١و٢) وهذا مطابق لما جاء في إنجيل (متى ١١: ٢٧) "كل شيء قد دُفع إليّ من أبي."

(وفي يوحنا ٣: ٣٥) "الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده." إنه ظاهر من هذه الآيات ومن غيرها أن المسيح كلمة الله وابن الآب كما يدعو نفسه ليس ينبوع الألوهية ولكن ذلك واضح من لقبيه "كلمة" و "ابن" ولكنه في الوقت نفسه يصرح بسلطته المطلقة على جميع المخلوقات حتى على الأنبياء والرسل والملائكة ورؤساء الملائكة وهذه السلطة لا تكون لأحد إلا لله تعالى ولا تناسب إلا الطبيعة اللاهوتية.

(١١) أخيراً نجده يقبل أن يُلقب إلهاً ورباً لأنه مكتوب في الإنجيل أنه بعد أن قام المسيح من الأموات ظهر لتلاميذه وقال لتوما "هات إصبعك إلى هنا وابصر يديّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال ربي وإلهي وقال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يوحنا ٢٠: ٢٧-٢٩). فما قاله توما إما أن يكون حقاً أو تجديفاً فلو كان تجديفاً لكان يسوع لامه على هذه الكلمات أشد اللوم ولكنه صادق على إقراره هذا وهذا دليل على أن هذه الألقاب هي للمسيح حقاً وفعلاً. ويتضح صدق هذا الكلام عندما نتكلم عن الثالوث المقدس والوحدة الإلهية.

(ثانياً)- نأتي هنا بالآيات التي تكلم بها المسيح عن بنوته لله وقد ذكرنا بعض الآيات التي يدعو نفسه فيها "ابناً" ويدعو الله "أباً" مثلاً (متى ١١: ٢٧) ومواضع أخرى ولكن توجد آيات أخرى يُسمي نفسه فيها "ابن الله" أو يصادق عليها عندما يذكرها البعض.

(١) ففي إنجيل متى نقرأ أن يسوع المسيح مشي على مياه بحر الجليل ليذهب إلى السفينة التي كان فيها تلاميذه وقد كادت أن تغرق من شدة الزوابع ولما دخل السفينة سكنت الريح "والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله" (متى ١٤: ٣٣). وفي إصحاح آخر أراد يسوع أن يتأكد إذا كانوا قد عرفوا مقامه الحقيقي. "سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم وأنتم من تقولون أني أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح بن الله الحي فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان ابن يونا إن لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٣-١٨). في هذه الآيات صادق يسوع على حقيقة ما قاله تلاميذه عن تسميته "ابن الله" ولم يصادق فقط أن هذا اللقب له ولكنه أضاف إلى ذلك أن هذه الحقيقة أعلنها الله إلى بطرس وأظهر أيضاً أن بنوته هي الأساس التي تبنى عليه كنيسته وأيضاً أساس الإيمان المسيحي الذي لا يمكن أن يتزعزع أبداً. من هنا يرى إخواننا المسلمون أن هذه التعاليم ليست بهرطقة تسربت للكنيسة بعد مدة من الزمن ولكنها أساسية محضة ولا توجد وسيلة أخرى أعظم من هذه كان في إمكان المسيح أن يعلمنا بها بنوته الإلهية. وفي إنجيل يوحنا قبل المسيح هذا اللقب وصادق عليه فعند إجابته على سؤال نثنائيل بينما كان يصلي تحت التينة وكان المسيح قد بين له ما بقلبه "أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل أجاب يسوع وقال له هل آمنت لأني قلت لك أني رأيتك تحت التينة؟ سوف ترى أعظم من هذا." هنا أيضاً قبل المسيح إيمان نثنائيل وصادق عليه. وقبل أن يقيم لعازر من الأموات قال لمرثا أخته "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" فسألها يسوع "هل تؤمنين بهذا؟ قالت له نعم يا سيد أنا قد آمنت أنك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم" ومصادقة المسيح على إيمانها واضح ليس فقط لأنه لم ينتهرها لأجل كلامها بل أقام أخاها من الأموات جزاء إيمانها.

(٢) وقد ظهرت بنوة المسيح في أمر هام جداً حينما امسكوه ومضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة فلم يكن لشاهدي الزور أن يأتيا بأي دليل ضد المسيح وأخيراً حلف رئيس الكهنة أيماناً عظيمة قائلاً "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" (متى ٢٦: ٦٣) ولا شك أن الجواب على هذا السؤال تحت تلك الظروف لابد وأن يكون صحيحاً وكل من يؤمن أن

المسيح هو نبي فقط لا يسعه إلا أن يعترف أن جوابه هذا كان حقاً بكل معنى الكلمة. ويعتقد إخواننا المسلمون أن المسيح يقول الحق وهو يدعو نفسه الحق في الإنجيل وأي رجل مهما كانت حالته لا يستطيع أن يكذب تحت هذه الأيمان والأقسام. فضلاً عن ذلك، فقد تأكد القوم الذين كانوا هناك عند محاكمة المسيح أن أقل كلمة تخرج من فيه يمكن تأويلها ولابد وأن تقوده إلى الموت فكان الأجدر بالمسيح في ذلك الوقت أن يعطي جواباً ملتبساً غامضاً ولأن ادعاءه لهذه المرتبة السامية بلا حق كان مما يوجب الحكم عليه. ولكن من المؤكد أن جوابه كان عن روية وإمعان وعلى علم تام بأهميته وخطورته لنفسه ولتلاميذه ولليهود بل ولجميع الناس قاطبة الذين لأجلهم أتي المسيح ليخلصهم لا ليضلهم ويغويهم. وعلى ذلك كان جواب المسيح لرئيس الكهنة "قال له يسوع أنت قلت وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء". فكانت دعواه واضحة كالشمس في رابعة النهار وكانت الكلمتان "أنت قلت" كافيتين للدلالة على صحة ما قاله ولكن زاد المسيح عليها لكي يمحو كل الشكوك ولكي يؤمن كل من سمعه أنه هو المسيا ابن الله المُنتظر وبناء على هذا الكلام يقول الإنجيل "فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون فأجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت" (متى ٢٦: ٦٥و٦٦). إن عقاب التجديف في التوراة حسب ناموس موسى هو الموت وكان في الإمكان أن يعتبروا كلام المسيح تجديفاً إن لم تكن دعواه صحيحة وواضحة وصادقة.

(٣) وصرح المسيح أيضاً أنه مُظهر الله وأنه يعلنه تعالى للمؤمنين حتى يروا الله في ذاته ويعرفوه المعرفة التامة لذلك قال المسيح لتلاميذه "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه" (يوحنا ١٤: ٧) فلم يفهم كلامه فيلبس وقال يا سيد أرنا الآب وكفانا ولما كانت رغبة المسيح أن لا يشك أحد في تعليمه الحقيقي أجاب "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب. ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ؟ الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لأن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال صدقوني أني في الآب والآب فيّ وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (يوحنا ١٤: ٩-١١). وقد قال المسيح هذه الأقوال في أوقات مختلفة وظروف متنوعة. قال يسوع "الذي يراني يرى الذي أرسلني" (يوحنا ١٢ عدد ٤٥) وقال لليهود "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه" (يوحنا ١٠ عدد ٣٧و٣٨). وهنا فهم اليهود ما كان يقصده المسيح فطلبوا أن يمسكوه ليحكموا عليه بالموت ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك وكانت حجة المسيح أنه لو كان مُجدفاً كما يزعم أعداؤه، لما أتى هذه المعجزات العجيبة العظيمة التي هي عمل القوة الإلهية ولا يمكن أن تعطى

القوة الإلهية لشخص يدعي زوراً أنه ابن الله. هنا توقف اليهود عن الجواب لأنهم لا يمكنهم أن ينكروا معجزاته ولكنهم في الوقت عينه لم يقبلوا دعواه ولذا أرادوا أن يقتلوه (اقرأ يوحنا ٨ عدد ٣٧-٤٧) فبذلك قد دانوا أنفسهم.

(٤) أن يسوع المسيح جعل الإيمان بالله والإيمان بنفسه واحداً وهذا يُظهر تماماً ألوهيته وقد قال لتلاميذه قبل أن يصلب بقليل "لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا ١٤ عدد ١). ثم استمر بعد ذلك يكلمهم عن وعوده وكيف أن له السلطان على السماء والأرض قال "في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فأني كنت قد قلت لكم أنا أمضي لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إلى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" ثم قال أيضاً "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلى بي" (يوحنا ١٤ عدد ٢-٣و٦).

(٥) أن يسوع المسيح جمع بينه وبين الله بطريقة لا يمكنا بها أن نفهم كلامه ما لم نتذكر ألوهيته. قال المسيح لتلاميذه في يوحنا ١٤: ٢٣ "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"

(٦) لم يقل المسيح فقط أنه ابن الله ولكنه يعلمنا أن الإيمان به كابن الله ضروري جداً للخلاص فهو يقول في يوحنا ٣ عدد ١٦-١٨ "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" ويقول أيضاً في يوحنا ٦: ٤٠ "لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير." ومكتوب أيضاً أن المسيح فتح عيني الأعمى فنبذ اليهود هذا الرجل لأنه آمن بالمسيح (اقرأ يوحنا ٩ عدد ١-١١و٣٤). ولكن المسيح لقي الرجل بعد ذلك وسأله قائلاً "أتؤمن بابن الله أجاب ذاك وقال له من هو يا سيد لأؤمن به فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو فقال أؤمن يا سيد وسجد له."

(٧) توجد آيات أخرى كثيرة صرح فيها المسيح بأنه ابن الله ونكتفي هنا بذكر آيتين بعدما ذكرنا كثيراً منها في ما سبق. ذكر إنجيل يوحنا (٥: ٢-١٨) أن المسيح شفى إنساناً به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة فلما اعترض عليه اليهود لعمل هذا في يوم سبت وصاروا يضطهدونه قال المسيح مدافعاً عن نفسه "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا ٥: ١٧) هنا أشار المسيح إلى الآية المذكورة في التكوين التي تقول "أن الله استراح في اليوم السابع عن جميع عمله الذي عمل" (تكوين ٢:٢) ويعني المسيح بذلك أنه وإن كان الله قد استراح من يوم خلق الإنسان على الأرض ولكنه ما زال يعمل في يوم السبت كسائر الأيام وهو يعتني بشعبه ويقوتهم فيه لذلك أنا أيضاً

أعمل أعمال الرحمة والشفاء في يوم السبت ولا يخفى أنه في هذه الآية كان يطالب ببنوته لله واليهود فهموا جيداً "ومن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً أن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يوحنا ٥: ١٨).

(٨) نجد يسوع يعلم ويصر على هذه التعاليم التي هي جوهر الديانة المسيحية وفي (يوحنا ١٠: ٣٠) يقول "أنا والآب واحد" وبسبب هذا التصريح كان اليهود يلحون على بيلاطس ليحكم عليه بالموت فقال لهم بيلاطس "إني لا أجد فيه علة" (يوحنا ١٩: ٦) "أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" لو كان المسيح لم يصرح بذلك بل جعل كلامه تلميحاً لا تصريحاً ربما كان قد خلص حياته ولكنه لم يفعل ذلك لأنه هو الحق وكلامه حق. هذا هو سبب من الأسباب الكثيرة التي جعلتنا نحن المسيحيين ندعو المسيح ابن الله وعلى هذه الصخرة نبني إيماننا.

(ثالثاً) – سمعنا الآن ما قاله المسيح عن نفسه وقبل أن نسمع شهادة رسله وشهادة بعض تلاميذه التي أعلنت لهم بواسطة الروح القدس مؤيدة هذه النبوة الإلهية، نأتي هنا بذكر بعض ما قالته الملائكة عن ذلك وبعدئذ نرى أن العناية الإلهية قد أظهرت هذه الحقيقة بكل إيضاح مراراً وتكراراً.

(١) لما أرسل الله الملاك جبريل إلى مدينة الناصرة ليبشر مريم العذراء أنها ستكون أماً لمسيا المنتظر قال لها "لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١: ٣٠-٣٣). فلما قالت مريم كيف يكون هذا أجاب الملاك وقال لها "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله."

(٢) وفي الليلة التي وُلد فيها يسوع المسيح في بيت لحم في أورشليم ظهر ملاك الرب للرعاة الذين كانوا يحرسون حراسات الليل وقال لهم "لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لوقا ٢: ١٠-١١ و١٣-١٤).

والمهم هنا ليس فقط إرسال الملاك ليبشر بولادة المسيح ولا فرح الجند السماوي بمجيئه لكن أيضاً قول الملاك أن ذلك المولود يكون "المسيح الرب" فالكلمتان "الرب والله" واحد ففي (فيلبي

٢: ٩) يقول بولس الرسول "ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" وكان يكتفي في رسالته للعبرانيين بذكر كلمة رب دائماً.

(٣) ولما اعتمد المسيح وكان له ثلاثون سنة أتت شهادة علوية هي أعظم من شهادة الملائكة مؤيدة ألوهية المسيح "ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت" (لوقا ٣: ٢١-٢٢ ومتى ٣: ١٣-١٧ ومرقس ١: ٩-١١ ويوحنا ١: ٣٢-٣٤).

(٤) ومرة أخذ المسيح بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلي "وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وايليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة وهو لا يعلم ما يقول وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظللتهم فخافوا عندما دخلوا في السحابة وصار صوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا ولما كان الصوت وُجد يسوع وحده" (لوقا ٩: ٢٩-٣٦) (اقرأ متى ١٧: ١-١٨ ومرقس ٩: ٢-٨ وبطرس الثانية ١: ١٧). وفي هذه الآية ليس المهم فقط ذلك الصوت الإلهي ولكن يوجد أمران مهمان جداً. أولهما هذه الكلمات "له اسمعوا" وهي تشير إلى الوعد المذكور في التوراة أن نبياً كموسى يرسل ثم مع هذا الوعد الأمر القائل "له تسمعون" (تثنية ١٨: ٥) ولذا فيكون يسوع المسيح هو ذلك النبي المذكور في ذلك الوعد – أما الأمر الثاني فهو السحابة إذ هي السحابة بعينها التي رافقت بين إسرائيل في البحر الأحمر وفي البرية وهي علامة سكنى الله أو كما يقولون "سكينة الله" ومعناها حضور الله ووجوده. وأي برهان أعظم من هذا على صحة قولنا بأن الرب يسوع المسيح هو ابن الله.

(٥) ولكن توجد أيضاً آية أخرى وفيها صوت من السماء يبرهن على صحة دعوى المسيح أن الله آب له. قبل صلبه قال "الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول أيها الآب نجني من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك" فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً" (يوحنا ١٢: ٢٧و٢٨).

ربما يقول البعض عندما يذكر المسيح بالتجلي والإكرام ربما يكون القصد من ذلك إكرامه من حيث أنه نبي عظيم وحتى عند قوله "أنا والآب واحد" ربما يشير بذلك إلى المحبة والوفاق بينه وبين الله كمؤمن حقيقي.

ولكن من تصفح الإنجيل بإمعان وروية رأى أن أقوالا كهذه غير مطابقة أصلاً للآيات التي أوردناها من الإنجيل وقد تكلم يسوع المسيح عن نفسه أن له صفات إلهية تفرد بها كما بينا ذلك قبلاً فمما لا يحتاج إلى برهان أن الوحدة بين المسيح وأبيه السماوي ليست مجرد الوفاق والمحبة ولكنها اتحاد الذات والجوهر- فلو كانت ذات المسيح تختلف عن الذات الإلهية بأي وجه من الوجوه لما أمكنه أن يقول عن نفسه أنه تفرد بالصفات الإلهية حقاً وله المقدرة أن يعطي حياة أبدية وأن يغفر الخطايا وأن يقيم الموتى وأن يعمل أعمالاً أخرى لا يقدر أحد أن يعملها إلا الله وحده جل وعلا. قال في (يوحنا ٥: ٢٢و٢٣) "أن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله" فهذا الإكرام الذي يطلبه المسيح من شعبه هو إكرام حقيقي لا كالإكرام الذي يُقدم إلى أحد عظماء الناس أو الأنبياء بل يطلب الإكرام اللائق لمقام الله الحي الأبدي – لما دعا توما المسيح إلهاً ورباً قبل المسيح هذين اللقبين ولم يكونا على سبيل الإكرام فقط لأن المسيح تفرد حقاً بالذات والصفات الإلهية.

ولو كان الأمر غير ذلك لما صادق المسيح على هذه الأقوال بل عدها تجديفاً ولكنه استحسنها بدليل قوله "لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا" وبالاختصار يتضح جلياً مما ذكرناه من الآيات أن المسيح ادعى الألوهية لنفسه بكل صراحة وحق- ولذا فكل من يفتش عن الحق برغبة وبقلب خلو من جميع الأغراض والتعصب ويريد أن يقبل ما يعلمنا به المسيح في كتابه المقدس فلا يعتريه أدنى شك فيما بعد ولا يقف أمامه مانع ما في قبول التعاليم الخاصة بألوهية يسوع المسيح كلمة الله.

ولكن ربما يقول البعض أن آخرين غير المسيح زعموا في أنفسهم الألوهية كمنصور الحلاج مثلاً الذي قال عن نفسه (أنا الحق) وربما يقولون أيضاً أنه قام كثيرون في عصرنا هذا بمثل هذه الادعاءات كبهاء الله في العجم وكثيرون من الصوفيين والدجالين المعتوهين فيسألون لم يكون المسيح محقاً في دعواه أكثر من هؤلاء ؟ إن اعتراضات كهذه لا تخرج من لسان مسلم حقيقي ولو سألها أحد الكافرين رغبة في الوقوف على الحق فللرد عليها نقول – إن بعض هؤلاء الناس هم باطنيون وربما عنوا بألوهيتهم أنهم جعلوا إرادتهم وسلوكهم وإرشاداتهم خاضعة منقادة لله فطبقاً لإرادته المقدسة فإن كانوا قد عنوا ذلك فقط فمن الجهل والخطأ أن يدعى إنسان هذا قصده بأنه هو الله لأن ذلك ما هو إلى تجديفاً.

قد فهمنا تماماً الغرض من ادعاءات المسيح ونؤمن بألوهيته حقاً ونرفض بتاتاً ادعاءات الكذبة لأن ألوهية المسيح مثبتة ومؤيدة ببراهين واضحة لا تقبل التأويل ولا يوجد لدينا أدنى دليل أنه يحق لأحد من الناس بأي وجه من الوجوه أن يدعي أنه الله أو ابن الله أو مظهرا الله أو أي صفة أخرى من هذا القبيل. فمن من الناس شهدت له الملائكة إثباتاً لدعواه أو نزل له صوت من السماء أو تنبأت الأنبياء في العهد القديم إعلاناً لمجيئه أو له قوة فائقة لعمل المعجزات أو حدث له التجلي أو قام من بين الأموات أو له السلطان على إعطاء الحياة الروحية للمؤمنين وغفران خطاياهم كي يعيشوا في ما بعد بأمانة حتى الموت أو به تمت النبوات وفوق كل شيء من من البشر له تلك الصفات الجميلة والحياة الطاهرة الكاملة التي كانت للمسيح ذلك النبي المعصوم؟- ولو تركنا كل شيء يختص بحياة المسيح على الأرض إلا أخلاقه وصفاته المعصومة التي بلا نقص ولا عيب تلك الصفات التي أظهرت للملأ أنه إله جدير بالمحبة والوقار لكانت هي الكافية لتثبت أن المسيح كان يتكلم الحق وكل ما قاله عن نفسه هو حق- وقد أجاد جلال الدين الرومي في قوله في المثنوي أن أقوى دليل على الشمس هو وجودها فإن استدللت بها عليها فلا تحول وجهك عنها- إن من يطالع الإنجيل بإمعان يدرك أنه توجد آيات كثيرة غير تلك الآيات التي تثبت ألوهية المسيح مظهرة ناسوته الكامل وهذا ما نقصده عند التكلم في تجسد كلمة الله وهذا التعليم لا يقل إيضاحاً في الإنجيل عن تعليم لاهوت المسيح. فمثلاً نقرأ في بشارة (يوحنا ١: ١-٤و١٤) "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند ا لله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" ونقرأ عن المسيح أيضاً في (فيلبي ٢: ٦-٨) "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب." فالإنجيل ثبت أن تجسد المسيح ليس ظاهرياً فقط بل حقيقياً ولد المسيح ونمى في الحكمة والمعرفة، أكل وشرب ونام وقام وجاع وتعب واحتمل الآلام والأحزان. ثم مات على الصليب ودُفن وأخيراً قام من بين الأموات. كل ذلك ويقول عن نفسه أن الله أرسله وأعطاه كل سلطان في السماء وعلى الأرض وقد قال أنه لا يعرف اليوم ولا الساعة التي يكون فيها انتهاء العالم وقال أن أباه أعظم من نفسه وكإنسان تقي صلى إلى الله وسأله لكي تعبر عنه الكأس إذا سمحت مشيئته بذلك وأخيراً وهو يشرب غضض الموت على الصليب كرر ما قاله صاحب المزامير "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" كل هذا يثبت أن المسيح مع كونه كلمة الله الذي كان معه منذ الأزل اتخذ لنفسه هيئة إنسان وطبيعته ولكن كان بلا دنس ولا عيب (وذلك لأن الخطية لم تكن أصلية في طبيعة الإنسان).

إن آيات الكتاب المقدس التي تثبت ناسوت ربنا يسوع المسيح لا تناقض تلك الآيات التي تعلمنا عن ألوهيته ولكن كلها تثبت صريحاً أن المسيح هو إنسان كامل كما أنه إله كامل وهذا مما يجعلنا نؤمن بكفارته- فلو كان إنساناً فقط لما كان موته كفارة من أجلنا ولا يكون عندئذ قد أظهر الله محبته للبشر- إن الكتاب المقدس بيّن أن ألوهية المسيح أظهرت صفاته الإلهية كما أن ناسوته أظهر صفاته البشرية ولم تكن هاتان الطبيعتان الممتازتان مركبتين أو (مخلوطتين) بل كانتا في اتحاد معاً في يسوع المسيح الواحد- ابن الإنسان وكلمة الله.

إن المسيح إذ جاء إلى هذا العالم في هيئة إنسان صار دون الله ولأنه كان منذ الأزل قبل خلق العالم مع الله أبيه فهو معادل له. وكل هذا واضح تمام الوضوح فيما سبق ذكره من آيات الكتاب المقدس أما تجسده فلم يغير ذاته الإلهية لأن الذات الإلهية بعيدة عن كل تغيير وتبديل فالمطلق لم يصر بعد مقيداً أو الضروري والواجب الوجود اتفاقا والقديم لم يعد حادثاً أو الباقي فانياً أو الغير محدود محدوداً. إذن فأولئك الذين يعترضون على تجسد المسيح ويقولون أنه مغاير لحقيقة عدم تغير الله كان يجب عليهم بالأحرى أن يعترضوا على حلول [1] الروح في الجسد- أن الروح لا تتركب مع الجسد بأن يصير الاثنان واحداً ولا تفقد الروح صفاتها الطبيعية وقت وجودها في الجسد- كذلك الحال في التجسد إذ أن الذات الإلهية لكلمة الله لم تفقد ولم تبق مركبة مع الذات البشرية عندما تجسد المسيح مع أنه ليس لهذا الاتحاد منتهى- نعم أن الفرق بين الماديات والروحيات عظيم جداً ولكننا نعرف أنه يمكن أن يتحد الواحد مع الآخر كما هي الحالة مع كل منا- أن الروح تتحد مع الجسد ولكنا نجهل كل الجهل معنى هذا الاتحاد وعلى هذا النمط الصعب جداً للعقل البشري المحدود أن يدرك الطريقة التي اتحدت بها الذات الإلهية والذات البشرية في المسيح يسوع- الحق غير محدود في دائرة إدراكنا ومقدرتنا نحن غير أن البراهين المثبتة لتجسد كلمة الله واضحة تمام الوضوح في الكتاب المقدس فلنكتف بها ولا حاجة بنا إلى سواها.

سأل بعض الناس لِم لم يوضح المسيح ألوهيته ويظهرها جيداً حتى لا يلتبس الأمر على أحد ولا يشك أحد بعد؟ ورداً على هذا نذكر لهم الآيات التي أوردناها على هذا الموضوع وقد

---

[1] **قد قال بعض المسيحيين أن الحلول نوعان الحلول السرياني- عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري والمسري محلا (2) الحلول الجواري عبارة عن كون أحد الجسمين طرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز.**

أثبت المسيح ألوهيته ليس فقط في آية واحدة ولكن في آيات كثيرة ومن يطالع الإنجيل بعيداً عن الغرض والتعصب مصلياً لله بغيرة طالباً إرشاده فلا يبقى في مخيلته شك ما في هذا الموضوع.

ولله در جلال الدين الرومي إذ قال في كتابه المسمى بالمثنوي ما معناه "التعصب غشاء يطمس الفهم وحجاب يعمي الأبصار"

لو كان المسيح أوضح أقواله أكثر بمائة مرة لما أمكنه أبداً أن يقنع أولئك الذين لا يرغبون في الإيمان خوفاً من أن يصيروا تلاميذ له يحتملون اضطهادات العالم من أجله بل ربما كان هؤلاء يكرهون المسيح أكثر من غيرهم ولكن كلما كثرت المعرفة كلما عظم القصاص على أولئك الذين يتعامون عن معرفة كلام الله كما يقول الإنجيل (يوحنا ٣: ١٩-٢١) "وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبخ أعماله وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة."

إن التعاليم المختصة بحقيقة ذات يسوع المسيح الذي هو نور العالم كانت كافية أن تجعل الرسل (الحواريين) وغيرهم يعترفون أن المسيح هو المسيا المنتظر ابن الله مخلص العالم، لهؤلاء كان النور كافياً، فلماذا لم ير الآخرون هذا النور؟ ذلك لأن التعصب وحبهم للعالم وحبهم لمصلحة أنفسهم وعدم تقواهم وما فيهم من النقائص والرذائل وإهمالهم وعدم إيمانهم كل هذه أعمت بصائرهم فلم يعودوا يرون النور بل عاشوا في الظلمة وظلال الموت.

إن تعاليم المسيح واضحة جداً في أيامنا هذه حتى أنه يمكن لربوات اليهود والوثنيين أن يرجعوا إلى الله فيصيروا مسيحيين حقيقيين. ولتعلم أيها القارئ الكريم أن أولئك القوم الذين آمنوا بالمسيح ليسوا بأحذق منك. إن تعاليم ألوهية المسيح كانت مفهومة مدركة حتى أن اليهود حاولوا مرات كثيرة أن يرجموه بسبب تصريحه هذا لهم بألوهيته- إن المسيح لم يوضح في أول الأمر هذه الحقيقة لأن تلاميذه لم يكونوا قد تقدموا في المعرفة كثيراً فكان يعلمهم إياها شيئاً فشيئاً حتى اعترف بطرس بها أخيراً كما رأينا- بل كان يوجد فيهم من لم يعرفها إلا بعد قيامته وربما بعد صعوده لأن هذه الحقيقة كان يصعُب فهمها لما رأوه من فقر وتواضع المسيح وهو على الأرض معهم وذلك هو أحد الأسباب التي قال من أجلها "أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم... إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يوحنا ١٦: ٧و١٢و١٣) إن روح الحق الذي يتكلم عنه هنا هو الاقنوم الثالث للثالوث الأقدس وقد وعد المسيح تلاميذه أن يعطي لهم بواسطة إلهام الروح القس معرفة أكثر بنفسه وبذاته الإلهية ولذا

قال في (يوحنا ١٦: ١٤) "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" وقال أيضاً في (١٤: ٢٦) "فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" وقد تم وعد المسيح فعلاً ونزل الروح القدس المعزي بعد صعود المسيح بعشرة أيام على تلاميذه. إن ذاك الروح القدس الذي سنتكلم عنه بمشيئة الله بإيضاح أوفى وأتم قد أضاء عقولهم وأرواحهم بنور من السماء فأظهر لهم ما قد خفي عنهم من الحقائق العظيمة التي كانوا يسمعونها ويتعلمونها من المسيح وبقوة ذلك الروح ونعمته عملوا عجائب عظيمة كشفاء المرضى لأن الحواريين كانوا في مقام الأنبياء وغيرهم من الرسل الإلهيين كما أوضحنا ذلك في كتاب "ميزان الحق" [1] فكان لهم السلطان أن يعلموا بكل ما علمهم إياه المسيح بقوة الروح القدس وقد جُمع كل ما كتبوه في كتاب العهد الجديد وفيه بينوا أن تعليم ألوهية المسيح هو أساس كل شيء وجوهر المسيحية وسنرى ذلك بأكثر وضوح في الفصل الثاني بنعمة الله.

الفصل الثاني

شهادة الرسل (الحواريين) للتعليم بألوهية "كلمة الله"

قبل أن نوضح ما قاله الحواريون عن ألوهية كلمة الله يستحسن أن نعرف ماذا عني المسيح بدعوة نفسه ابن الله وقد ذكر الرسل ذلك في كل رسائلهم ومما يجدر ذكره أن لقباً كهذا يمكن لغافل أو جاهل أو متعصب أن لا يفهمه قط ومما يساعد على سوء التفاهم هذا أن الوثنيين يعتقدون أن لآلهتهم جسماً هيولياً أي مخلوقاً من المادة تتسلط عليها ثورات الغضب والشر ولها زوجات وأطفال ولكن اليهود كما يعرف أهل العلم ليسوا كذلك ففي عصر المسيح لم يعبدوا الأوثان ولم يكونوا مشركين ولم تكن لهم آلهة ذات جسم هيولي مخلوق من المادة. إن تلاميذ المسيح كانوا قبلاً يهوداً خاضعين لناموس موسى وقد احترموا والمسيح أيضاً العهد القديم لأنه كلام الله فيصعب جداً لمتعلم عاقل أن يظن أن المسيحيين الأولين قبلوا إيماناً كفرياً يختص بالله أو فكراً أرضياً يختص ببنوة المسيح. إن المسيحيين في ذلك الزمن بل وفي جميع الأزمنة متفقون مع إخواننا المسلمين في ما يقولون أنه "بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة" (سورة الأنعام)– لم يقل المسيحيون أبداً أن المسيح "ولد الله" (والعياذ بالله من ذلك) بل قالوا أنه "ابن الله"– لأن قولهم أنه ابن الله أقرب للفهم من قولهم أنه "ولد الله" أن المسيح قد دعي

---

[1] الباب الثاني الفصل الثامن. يُطلب هذا الكتاب الجليل من إدارة مطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ بمصر

ابناً لله في معنى كلمة الله وهذان اللقبان يظهران ذاته الإلهية ولكن لقب كلمة الله هو أفضل فلسفياً من لقب "ابن الله" غير أنه لا يعلمنا بوضوح شخصيته ولا يشير بوضوح عن المحبة التي وجدت منذ الأزل في أقانيم الوحدة الإلهية ولذا كان المسيح ورسله محقين في تفضيلهم لقب ابن الله عن غيره من الألقاب ويجب ألا نظن أنهم استعملوا ذلك اللقب في معناه الغير الحقيقي بقصد التعظيم والمغالاة. فعلاقة المسيح بأبيه السماوي هي علاقة حقيقية أعظم من علاقة الإنسان بأبيه الأرضي لأن الله الأعلى سرمدي أزلي وهو أعظم من الإنسان الترابي الفاني. وبما أن وجود الله هو سبب وجودنا كما أن حكمته وقوته هما المصدر الذي نستمد منه حكمتنا وقوتنا، فالأبوة الأرضية ما هي إلى ظل للأبوة السماوية والبنوة الأرضية ما هي إلا شعاع ضعيف أمام بنوة يسوع المسيح السماوية التي لا هي وقتية زائلة ولا هيولية فانية لأن الأمور الوقتية الهيولية في علاقة الآب بالابن ما هي إلى عرضية لا مطلقة. فيجب أن تمحى كل هذه الأفكار والتصورات عندما نتأمل في موضوع الذات الإلهية فهو الواحد الأبدي الغير متغير المنزه والغير محدود بزمان أو مكان.

إن المسيح يسوع لم يدع فقط ابن الله ولكنه دعي أيضاً ابن الله الوحيد لإظهار ما تفرد به عن باقي المخلوقات من المقام السامي والذات الإلهية وأن لا أحد معادل له من بني البشر (اقرأ يوحنا ١: ١٢ وغلاطية ٣: ٢٦ ورومية ٨: ١٤-١٧).

إن كثيرين يصيرون أولاد الله بالتبني بواسطة الإيمان بوحيد الله الرب يسوع وبالولادة الروحية الجديدة بواسطة الروح القدس (اقرأ يوحنا ٣: ٣و٥). ولكن ذلك لا يجعلهم معادلين للمسيح الذي كان منذ الأزل ابن الله وكلمته (اقرأ يوحنا ١: ١و٢) وكما أن الابن الأرضي لا يخلقه أبوه بل يتخذ من أبيه طبيعته الإنسانية فهكذا أيضاً ابن الله الأزلي لم يخلقه الله لكنه أخذ من أبيه ذاته وصفاته الإلهية ولهذا السبب ندعو المسيح إلهاً وقد أُعطي له هذا اللقب في العهدين القديم والجديد وهو يعلمنا بنفسه أنه وأبوه واحد "وأنه في الآب والآب فيه" (يوحنا ١٤: ١٠ ومرقس ١٢: ٢٩). وقد بينا ذلك صريحاً في ما ذكرناه من الآيات المختصة بهذا الأمر في الفصل الأول- والآن نأتي بشهادة الرسل التي وردت في رسائلهم إثباتاً لألوهية المسيح ولو أردنا أن نذكر ذلك تفصيلاً لكنا ننسخ العهد الجديد برمته تقريباً ولكننا نكتفي بذكر آيات قلائل لإظهار أدلتهم الصريحة التي توافق على خط مستقيم ما قاله المسيح عن نفسه.

(١) أن رسل المسيح (الحواريين) ينسبون إليه صفات إلهية لا ينسبوها لغيره من الناس. ففي إنجيل يوحنا قال البشير أن كلمة الله كان في البدء مع أبيه "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله" (يوحنا ١: ١و٢). وفي (١يوحنا ١: ١-٣)

قال الرسول "الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة قد أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه ونخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح."

فواضح أن هذه الآيات تشتمل على ألقاب إلهية نسبت إلى يسوع المسيح وتبرهن لنا النقطة المهمة التي نحن بصددها الآن.

يقول أيضاً إنجيل يوحنا أن المسيح فيه حياة فقد قيل في ص١ عدد ٤ "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" وقد شهد بطرس على أن المسيح هو المخلص الوحيد لبني آدم فقال في أعمال ٤: ١٢ "وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص."

يشهد كثيرون من الرسل أن المسيح عرف أفكار الناس ولا ينكر أحد أن هذه الصفة إلهية ولا يمكن أن تُنسب إلا لله عارف القلوب ولقد قال سليمان الملك في صلاته عند تدشين هيكل الله في أورشليم "لأنك وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر" ملوك الأول ٨ عد٣٩ ويقول الله في نبوة أرميا "أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى" (أرميا ١٧: ١٠) وقال بطرس في (أعمال ١٥: ٨) "والله العارف القلوب شهد لهم" ويعني بذلك أنه بإعطاء الروح القدس للأمم المتجددين شهد الله لإخلاصهم وإيمانهم وكان الله يعلم ذلك يقيناً. وإنجيل متى إصحاح ٩ يعلمنا أن اليهود فكروا في قلوبهم أن المسيح مُجدف لقوله للمفلوج الذي شفاه "ثق يا بني مغفورة لك خطاياك" ويقول الكتاب أيضاً "فعلم يسوع أفكارهم" وقد عرف أيضاً أفكار الإنسان المريض حيث أدرك أن المقصود ليس هو شفاء الجسد ولكن غفران خطيته وفي موضع آخر لما شفى المسيح المجنون والأعمى والأخرس وسمع الفريسيون بذلك أذاعوا بين الشعب أن "هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين فعلم يسوع أفكارهم" متى ١٢: ٢٥ وقال لهم "كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب" وهنا يظهر جلياً صفة من صفات المسيح الإلهية.

كذلك نقرأ في إنجيل (يوحنا ص١: ٤٥-٥١) لما كان نثنائيل مقبلاً نحو المسيح عرف طباعه قبل أن يقترب منه وقال عنه لتلاميذه "هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه" فتعجب نثنائيل وقال له "من أين تعرفني" فأجاب المسيح وقال له "قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك" وكان هذا الكلام مشبعاً بالمعاني فقد كانت عادة الأتقياء من اليهود أن يذهبوا تحت شجرة التين ليتعبدوا لله بانفراد فكأن المسيح يقول لنثنائيل:

أن موضوع صلاتك كان خصوصياً ولم يكن معك أحد إلا الله إلا أن ذلك معلوم تمام العلم للرب يسوع.

فقال نثنائيل بعد ذلك "يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل" معترفاً به أنه المسيا المنتظر ولا غرو فإن معرفة المسيح لأفكاره وصلاة نثنائيل لله كانا سبباً في إيمانه بألوهية المسيح فقبل المسيح احترام نثنائيل له وصادق على إيمانه بقوله "هل آمنت لأني قلت لك أني رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا".

ونقرأ أيضاً في إنجيل يوحنا أنه قبل أن يصلب المسيح بقليل قال له تلاميذه "الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد، بهذا نؤمن أنك من الله خرجت." وقد شهدوا بذلك بعد أن سمعوا ما قاله المسيح جواباً على ما كانوا يفكرون به في قلوبهم واقتنعوا أنه عارف بما في القلوب وأنه جاء من الله. وشهد بطرس أيضاً بعد قيامة المسيح وهو من تلاميذه الأولين بقوله "يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أني أحبك" (يوحنا ٢١: ١٧) وقد أيد المسيح هذه الأقوال بعد صعوده فقال "أني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب" (رؤيا ٢: ٢٣).

(٢) شهد الرسل (الحواريون) أيضاً أنه كان للمسيح سلطة إلهية مثال ذلك أن جميع الملائكة القديسين خاضعون لله دون سواه مع ذلك يقول يوحنا الرسول في الرؤيا ص ١: ١ "إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب وبينه مرسلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا" وهذا يتفق تمام الاتفاق مع ما قاله المسيح عن نفسه في متى ١٣: ٤١ "يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم."

وقد علمنا بطرس الرسول أن الرب يسوع المسيح سيدين العالم في اليوم الأخير بقوله في أعمال الرسل ١٠: ٤٢ "وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات" وهذا يتفق مع ما قاله المسيح عن نفسه مراراً وتكراراً كما قال في إنجيل (متى ١٣: ٤١ وص ١٦: ١٧ وص ٢٥: ٣١ ويوحنا ٥: ٢٢و٢٣).

ويشهد يوحنا أيضاً أن المسيح خالق كل المخلوقات فقال "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان... كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم (يوحنا ١و٣و١٠)

وقد ذكر الحواريون في كثير من الآيات أن المسيح كانت له قوة على السماء والأرض على الأرواح الشريرة على الإنسان والملائكة كما أن البشائر الأربعة تذكر لنا آيات كثيرة عن السلطة التي كانت للمسيح وكيف أنه بكلمة أخرج الشياطين مرات عديدة وقد أدهشت السلطة التي كانت

له جميع الناس فقال يوحنا المعمدان "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع وما رآه وسمعه به يشهد ... لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح. الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده.الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله." (يوحنا ٣: ٣١-٣٦).

وقد شهد بطرس الرسول أيضاً عن المسيح فقال "هذا هو رب الكل" (أعمال ١٠: ٣٦) وقال أيضاً "هو في يمين الله إذ مضى إلى السماء وملائكه وسلاطين وقوات مخضعة له" (بطرس الأولى ٣: ٢٢) وقال عنه يوحنا الرسول "الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض" (رؤيا ١: ٥).

(٣) ثالثاً أن لقب الله وابن الله قد أعطاه له الحواريون فكتب بطرس الرسول في بطرس الثانية ١: ١-٢ قائلاً "سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا" وقال يوحنا الرسول في إنجيله ١: ١ "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله." وكتب أيضاً قائلاً "شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح... إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (يوحنا الأولى ١: ٣-٧). وقال أيضاً "من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن" (يوحنا الأولى ٢: ٢٢) وقال أيضاً في آخر رسالته (٥: ٥و١٣و٢٠) "من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله... كتبت هذا إليكم أنت المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية." بل أننا نقرأ ما هو أوضح من ذلك في رؤيا ص١: ٨ إذ يقول "أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء." إن الحرفين الأول والأخير من حروف الهجاء يُستعملان للبداية والنهاية والكلمتان "والذي يأتي" إنما تشيران إلى المسيح لأنه وعد أن يأتي ثانياً الذي هو الأول والآخر وهو الله طبعاً لأن ذلك ما لا يستطيعه أحد ولو كان أعظم الملائكة. وتأييداً لذلك نأتي بأقوال الله في نبوة أشعياء إذ قال "أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو" أشعياء ٤١: ٤.

إن كلمة الكائن إنما تشير عما قاله الله في الخروج عن اسمه أنه "أهيه" وهي الكلمة العبرانية التي تترجم للعربية "بالرب" وفي هذه العبارة السالفة الذكر قد أعطي المسيح لقبين "الرب والكائن" ولزيادة الإيضاح قد أُعطي المسيح لقباً آخر وهو "القادر على كل شيء."

لو تأملنا بإمعان فقط في هذه الآيات بغض النظر عن جميع الآيات الأخر التي تظهر صريحاً الصفات والألقاب الإلهية المنسوبة لربنا يسوع المسيح لرأينا أن الروح القدس الذي وعد به المسيح لتلاميذه أعاد لهم ذكرى ما كانوا يسمعونه منه وقدرهم أن يبشروا الآخرين بما أمرهم أن يبشروا به ولو اهتم القارئ الكريم وراجع الآيات التي قالها عنه تلاميذه والآيات التي قالها المسيح عن نفسه وقارن بين هذه وتلك ورأى أنه لا يوجد لقب واحد أعطاه له تلاميذه إلا وكان المسيح طلبه لنفسه أولاً ورأى أيضاً أن شهاداتهم له لم يشهد بها واحد أو اثنان منهم فقط ولكن شهد بها كل من بقيت رسائله في أيدينا ولم يختلف واحد عن الآخر في شيء قط- حقاً أن تعليم ألوهية المسيح لم يظهره الرسل إلا بعد صعوده إلى السماء وقد نما هذا التعليم فيهم تدريجياً على مر الزمن ومما لا ريب فيه أنهم لم يفهموا ذات ومقام ربهم ومعلمهم إلا بعد صعوده إلى السماء كما بينا ذلك قبلاً ومع ذلك اتفق الجميع أن المسيح علمهم أنه والله واحد وقد جاء هذا التعليم بصريح القول في البشائر الأربعة وفي أعمال الرسل وفي سفر الرؤيا كما في رسائل رسل المسيح الأولين.

إن العهد الجديد مشحون برسائل بولس الرسول الكثيرة عدا الرسالة إلى العبرانيين التي إما أن يكون كتبها بولس بنفسه أو أحد تلاميذه ممن تلقوا التعليم من فمه وماذا تقول هذه الرسائل الكثيرة عن ألوهية المسيح؟ هل تعاليمها مغايرة لتعاليم تلاميذه الأولين؟ لقد جئنا بشهادة بولس الرسول آخر الكل أولاً لأن بولس صار مسيحياً بعد صعود المسيح (أعمال ٩: ٢١). وثانياً لأن إخواننا المسلمين يتحاملون عليه ولا يؤمنون أنه رسول ولكن هذا خطأ فاحش فقد دُعي بولس رسولاً بحق وأرسله الرب يسوع كباقي الحواريين وأما كلمة رسول أو "حواري" فمعناها إنسان مُرسل والأخيرة تطلق على الذين أرسلهم المسيح للكرازة باسمه والسلطة الممنوحة للمسيح في إرساله الرسل لم تقف عند حدها بعد صعوده فيحق لبولس إذاً أن يُلقب نفسه برسول يسوع المسيح وقد اتفق على ذلك جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم فنأتي الآن ببيان ما قاله في شهاداته عن الرب يسوع المسيح.

(١) يعلمنا أولاً عن وحدة وعظمة الله بقوله في ١تيموثاوس ١: ١٧ "وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين" وأيضاً في ١تيموثاوس ٦: ١٥و١٦ "المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكناً

في نور لا يُدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" وهذه الآيات جاءت مطابقة تمام المطابقة لما جاء في التوراة والإنجيل.

(٢) أن بولس الرسول يوافق جميع الرسل في تعليم ناسوت يسوع المسيح ولاهوته الكاملين فقد قال أن المسيح وإن كان إنساناً فهو بلا عيب "إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢٠-٢١) وقيل أيضاً في الرسالة للعبرانيين (٤: ١٤-١٦) "فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مُجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" وقال أيضاً عن ناسوت المسيح "أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غلاطية ٤: ٤) وقال عنه أنه من جهة الجسد صار من نسل داود "عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا" (رومية ١: ٣و٤).

وقال بولس الرسول عن صلبه أيضاً "لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذا وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي ٢: ٧و٨) ولا حاجة بنا أن نذكر القارئ الكريم أن قصة صلب المسيح وردت بغاية الإيضاح في الإنجيل الطاهر وتكلم بولس في كثير من الآيات عن قيامة المسيح نقتصر على القليل منها- قال في (رومية ٨: ٣٤) "المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا" وقال أيضاً في (رومية ١٤: ٩) "لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات" وقال في (كورنثوس الأولى ١٥: ٢٠-٢٢) "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع" وقال في موضع آخر عن المسيح "الذي هو البداءة بكر من الأموات" (كولوسي ١: ١٨). ويعني بذلك أن المسيح أول من قام من الأموات بجسد خالد وبلا فساد ولا يتسنى لأحد من الأموات الحصول على ذلك إلا يوم القيامة. يعلمنا بولس الرسول أيضاً أن الجميع يخلصون بواسطة كفارة المسيح كما قال في (رومية ٤: ٢٤و٢٥) "بل من أجلنا نحن (المسيحيين) أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا". وفي (إصحاح ٥: ١و٦-١١) "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح... لأن المسيح إذ كنا بعد

ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ربما لأجل الصالح يجسر أحد أن يموت ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة" ثم قال في عدد ١٧و١٩ من هذا الإصحاح) "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح... لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً." وقال أيضاً في (١تيموثاوس ٢: ٥-٦) "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" وإذ كان بولس الرسول يبشر في أثينا قال عن يوم الدينونة الأخير أنه معطى للمسيح "لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات" (أعمال ١٧: ٣١) وقال أيضاً "لأنه لابد أننا جمعياً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً." (٢كورنثوس ٥: ١٠) واعترف بولس بقيامة يسوع المسيح من الأموات بقوله في (أفسس ١: ٢٠-٢٢) "أجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شئ تحت قدميه" ولكي يحكم المسيح جميع الأشياء بالعدل في الأرض والسماء يجب أن لا يكون له كل القوة فقط بل كل الحكمة أيضاً. إن بولس الرسول يعلمنا أن المسيح له ذلك إذ قال عنه أنه "سر الله الآب والمسيح المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم" (كولوسي ٢: ٢و٣) وهذه الحكمة وهذا العلم لن يفارقاه قط لأن "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣: ٨).

إن كثيراً من هذه الآيات تثبت أن يسوع المسيح كان إنساناً ليس بحسب الظاهر فقط ولكن بالحقيقة أيضاً وهي أيضاً تثبت في نفس الوقت أنه كان أعظم من إنسان وأن كثيراً من الصفات الإلهية منسوبة إليه. فالله دون سواه غير متغير عارف بالغيوب حاكم وقاضي الكل وقد رأينا أن كل هذه الصفات للمسيح أيضاً كما سبق ذكره. وبولس الرسول لم يكن الوحيد الذي ذكر هذه الحقائق ولكن جميع الرسل الأولين نهجوا على هذا المنوال تماماً وقد بينها المسيح نفسه. وفي نفس الآيات التي قدمناها لإثبات ناسوت المسيح نرى إثباتاً صريحاً لألوهيته أيضاً والآن نتقدم لنثبت أن بولس الرسول قد أعطى المسيح لقب "ابن الله" و "الرب" و "الله" كما أعطاه إياها غيره من الرسل وهنا نجد أيضاً أن الجميع متفقون تمام الاتفاق في التعاليم المعلنة لهم بواسطة الروح القدس.

إن ألوهية المسيح ظاهرة واضحة في قول الكتاب المقدس"أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (كورنثوس الثانية ٥: ١٩) وفي قوله "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ٥-١١) اقرأ أيضاً (يوحنا ١٦: ٢٧و٢٨و ١٧: ٥و٢٤).

أننا نستلفت نظر حضرات القراء الأحباء لتلك الآيات التي تثبت ألوهية المسيح بصريح العبارة. ونرجوهم أن يتأملوا في قول الكتاب المقدس "الذي إذ كان في صورة الله" أعني أنه كان إلهاً تاماً وأيضاً "وإذ وُجد في الهيئة كإنسان آخذاً صورة عبد" ومعنى ذلك أنه كان إنساناً بالمعنى الحقيقي وأيضاً قوله "معادلاً لله" أي هو والآب واحد وبعد ذلك يقول "وأعطاه اسماً فوق كل اسم" ومعنى ذلك اسم الله الذي لا يشاركه فيه أحد وقد اعتبره اليهود قديماً اسماً مقدساً لا يتجاسر أحد على النطق به.

وعند قراءة العهد القديم باللغة العبرانية نجد أن كلمة (أدوناي) ومعناها (الرب) تُستعمل بدلاً من النطق بلفظة "يهوه" اسم الله العلي القدير فقول الكتاب المقدس إذاً "أن يسوع المسيح هو رب" معناه أن يسوع المسيح هو صاحب ذلك الاسم العظيم أي أنه هو الله سبحانه وتعالى. ويعلمنا بولس الرسول في رسائله أن الملائكة ورؤساء الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الأموات والأحياء سيجثون للمسيح ويعترفون بألوهيته حسب وعد الله أبيه. وقال في (رومية ١: ٢-٤) أن موضوع بشارة الله هو "ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا" ويقول أيضاً "من جهة الجسد" فالمسيح إسرائيلي ويقول عنه أيضاً أنه "الكائن على الكل إلهنا مباركاً إلى الأبد آمين" (رومية ٩: ٥) ويقول أيضاً أن الله الآب هو "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خُلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل... لأنه فيه سرّ أن يحل كل الملء" (كولوسي ١: ١٣-١٧و١٩). وقول الرسول هنا "الذي هو صورة الله غير المنظور" مطابق تمام المطابقة لما قاله المسيح عن نفسه (الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩) أو بمعنى آخر فهو مُظهر الله الوحيد وقوله أنه (بكر كل خليقة) يعني أنه "وارثاً لكل شيء" كابن

الله الوحيد وكما قال أيضاً في (كولوسي ٢: ٩-١٠) أن ملء اللاهوت حال فيه وهو خالق جميع الأكوان (فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً... الذي هو رأس كل رياسة وسلطان).

أن الإصحاح الأول من الرسالة للعبرانيين يعلمنا هذه التعاليم بعينها وقد دوّن الكاتب بعض الآيات المذكورة في العهد القديم مُظهراً بذلك أن الأنبياء الذين عاشوا قبل المسيح بزمان بعيد شهدوا بواسطة إلهام الروح القدس لعظمة المسيح الفائقة وذاته الإلهية. قال الرسول في (العبرانيين ١: ١-١٤) "الله بعد ما كلم الأباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم. لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته ريحاً وخدامه لهيب نار وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟" (قارن هذه الأقوال بالأقوال التي جاءت في أشعياء ٤٤: ٣٤ ومزامير ٢: ٧ وصموئيل الثاني ٧: ١٤ وتثنية ٣٢: ٤٣ ومزامير ١٠٤: ٤ ومزامير ٤٥: ٦و٧ ومزامير ١٠٢: ٢٥-٢٧ ومزامير ١١٠: ١ ومتى ٢٢: ٤١-٤٦ ومرقس ١٢: ٣٥-٣٧ ولوقا ٢٠: ٤١-٤٤). ثم نقتصر أيضاً على ذكر بعض آيات أخرى في (تيطس ٢: ١١-١٣) وهي "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" كل هذه الآيات وغيرها كثيرة تعلمنا عن ناسوت المسيح الكامل الذي بلا دنس ولا لوم وعن ألوهيته أيضاً.

وقد علم بولس ما قد علمه المسيح وما علمه غيره من الحواريين فتعاليم بولس إذاً هي نفس تعاليم الإنجيل لا فساد فيها ولا زيادة وهي لازمة لكمال الإنجيل. وأن ما قاله المسيح حق وأن تلك الآية الشريفة التي فاه بها هي جوهر الإنجيل وقلبه إذ تقول "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦) وقبل أن نختم هذا الفصل يجدر بنا أن نوضح ثلاث نقط ربما يتعسر فهمها على الباحث الغيور وأولها

ما نسميه بالصعوبة الزمنية ومما لا ريب فيه أن الأب البشري أكبر من ابنه فإذا كان المسيح ابن الله فهل هذا يدل على أنه كان بعد أبيه؟ إذا كان الأمر كذلك فهو ليس إذاً بأزلي ولا يمكن أن يكون هو الله وإذا كان الأمر خلاف ذلك فكيف يكون المسيح ابناً؟ إن الجواب على هذا السؤال يدركه لأول وهلة كل من أوتي نصيباً من الفهم والإدراك لأن الفرق بين [1] عمر الأب البشري وابنه كائن لأنهما من الخلائق المحدودة التي لوجودها بداية وإذا اعتقدنا أن هذا الفرق يسري على ابن الله فيكون قياسنا هذا محض اختلاق ومن وجهة أخرى فإن الكتاب المقدس الذي يعلمنا أن الرب يسوع المسيح هو كلمة الله وابن الله يعلمنا أيضاً أنه كان في البدء أي ابتداء مع الله وهذا يمحو من أمامنا الصعوبة التي نحن بصددها والتي ترجع إلى عجز الإدراك الإنساني لعدم مقدرته على إزالة تقسيم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل من مخيلته مع أنه لمعرفة الله لا حاجة بنا إلى مثل هذا التقسيم فهو أزلي أبدي فقط ومن تأمل في عبارة "كلمة الله" علم أن "كلمة" "يشير إلى وجود متكلم" ولا يكون المتكلم متكلماً إلا إذا تكلم وأن نطق الكلمة أو الكلام يحدث في نفس الوقت الذي يكون فيه الناطق متكلماً ومما لا يحتاج إلى برهان أن المتكلم كائن قبل كلامه ولكن لا يعتبر متكلماً إلا إذا تفوه بكلامه. فالتكلم والكلام في وقت واحد ولزيادة الإيضاح نأتي بمثل آخر أوضح من الأول وهو مثل النور فقد قال يوحنا الرسول أن "الله نور" (١يوحنا ١: ٥) وقال يعقوب أنه "أب الأنوار" (يعقوب ١: ١٧) وقال المسيح عن نفسه "أنا قد جئت نوراً إلى العالم" (يوحنا ١٢: ٤٦) ومما لا جدال فيه أنه عند مقارنة النور بشعاعه لا يوجد بينهما لا متأخر ولا متقدم فلا نور بدون أشعة ولست بمخطئ إذا قلت أن الأشعة هي أشعة النور لأنك تعني بذلك أنها تتولد من النور ولكنها هي والنور حادثة في وقت واحد ومن السخافة أن نقول أن هذا النور يتغير أو ينقص لأن الأشعة تتولد منه وزيادة على ذلك فإن النور لا يظهر إلا من أشعته. ومن المسلم أنه لا يمكن مقارنة العلي العظيم بإحدى مخلوقاته وحيث أن حذق ومهارة وصفات الصانع تظهر في عمله فنحن نتعلم شيئاً عن الله من ذلك النور الذي هو من أعظم وأجمل أعمال الخلق فهل نحن مخطئون بعد في إيراد هذا المثل طالما الله نفسه ألهمه لعبده في كتابه المقدس؟

الأمر الثاني أن الإنجيل يذكر أن المسيح جاع وعطش وتعب وتألم بل ومات ولم يعرف الساعة ولا اليوم الذي تكون فيه دينونة العالم ونما في الحكمة والقامة كسائر البشر وقد صلى لله أبيه وقال عن نفسه أنه وسيط بين الناس والله فكيف يتفق هذا كله مع ما عرف عن الله وصفاته ذلك الإله الحكيم الذي لا يتعب ولا يموت الذي لا يتغير ولا يفوقه أحد في عظمته وقدرته؟ فكيف

---

[1] **ملحوظة – الأب البشري لا يُسمى أباً إلا بعد ولادته لابنه فتكون إذاً أبوة الآب وبنوة الابن متساويتين في القدم.**

تكون للمسيح الذات الإلهية مع وجود الفرق العظيم بين صفاته وصفات الله تعالى؟ فالجواب على هذا لا يحتاج إلى تعب كثير وقد ذكرناه آنفاً. فإن تعاليم يسوع المسيح وتلاميذه هي أنه إذ كان منذ الأزل كلمة الله واحد مع أبيه أخذ هيئة إنسان وهو معصوم من الخطية وصار الإنسان الكامل كما أنه كان الله الكامل أيضاً "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يوحنا ١: ١-٣و١٤). نعم أن الذات الإلهية لا تموت ولا تعطش ولا تجوع ولا تنمو في الحكمة ولكن كل هذه من حيثية الإنسانية ولكن لكي يتألم المسيح كلمة الله ويموت من أجل خطايا العالم للكفارة عن خطايا جميع الناس وفتح أبواب الملكوت أمامهم تجسد وأخذ طبيعتنا فبالطبيعة الإنسانية أكل المسيح وشرب ونام وقام وتحمل الأتعاب والآلام وتمتع بالأفراح كإنسان وبهذا أظهر صفاته الإنسانية ولذا قال في الإنجيل أن الآب أرسل الابن فسمى نفسه ابن الإنسان (اقرأ يوحنا ٥: ٢٣و٣٦ و٦: ٤٤ و١٥: ٣٦ و١٢: ٤٩ و١٧: ٣ و٢٠: ٢١). وهكذا وُلد المسيح من مريم العذراء وتحمل الآلام وصلب ومات وقام من بين الأموات في اليوم الثالث ثم صعد إلى السماء ونظرته عيون التلاميذ وهكذا قال المسيح يسوع "لأن أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤: ٢٨) وقال أيضاً "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا ٦: ٣٨) وصار المسيح وسيطاً وشفيعاً لنا فصلى من أجلنا لما كان هنا على الأرض. ويقول كاتب رسالة العبرانيين "وهو حيّ في كل حين يشفع في الذين يقتربون إلى الله بواسطته" وكل ذلك طبعاً نتيجة اتحاد إنسانيته الكاملة التي بلا عيب مع ذاته الإلهية والصعوبة التي أمامنا الآن تتلاشى عندما نقبل تعاليم المسيح المعلنة لنا في الإنجيل.

الأمر الثالث اعتراضات البعض بقولهم "كيف يتسنى لله أن يصير إنساناً ويظهر بصفات بشرية؟ كيف يقوم الحادث مقام القديم ويصير الخالق مخلوقاً والمطلق مقيداً والغير محدود محدوداً؟" ورداً على ذلك نقول أن الكتاب المقدس مع أنه يعلمنا تجسد كلمة الله لم يقل أصلاً أن الذات الإلهية قد تغيرت إلى ذات إنسانية أو فقدت شيئاً من صفاتها الإلهية فالمسيحيون يعتقدون كما يعتقد المسلمون أن غير المحدود لا يصير محدوداً والخالق لا يصير مخلوقاً. ولكن الكتاب المقدس الذي أعطاه لنا الله بإعلان روحه القدوس يعلمنا أن القدير قد جعل نفسه في علاقة مع المخلوقات أمكنه بها إعلان نفسه لهم وإن حاولنا أن ننكر هذا فكأننا رفضنا كل وحي وجعلنا كل الأنبياء والرسل كذابين منافقين- وإذا أراد الله ربح محبة الناس ورأى من الضروري إعلان محبته لهم أفلا نؤمن أن الله الذي لا تحد حسناته قد تنازل وأرسل كلمته فأخذ صفات إنسانية لكي يفهم الناس معنى الكلمة الإلهية وبواسطته نعرف ونحب أباه السماوي- إن تعليم الثالوث الأقدس ربما

يُسهل علينا فهم معنى التجسد فلا تبقى صعوبة بعد أمام المسلم الذي لا يؤمن بهذه التعاليم التي يقبلها العقل السليم وتطابق كلام الله وإن أنكرنا إمكانية تنازل الله هذا فكأننا قد اعترفنا بأن الله غير قادر على كل شيء. وأما الذين يقولون أن هذا التنازل مغاير لمقام الله الأسمى فالأولى بهم أن يفهموا أن الله الحكيم قادر أن يحكم لنفسه بالأمور اللائقة أكثر منهم. لقد أظهر الله أن الغير مستطاع لدى الإنسان مستطاع لديه تعالى فالإنسان لا يفهم كيف أن الروح الغير الهيولي يدخل في جسم هيولي. نعم وإن كان يعرف أن فيه روحاً وهذا الروح متسلط وحاكم على الجسم لكنه يجهل كيفية اتصالهما ببعض ولو لم نختبر ذلك لكنا نعتقد أنه من المستحيلات. أنه وإن كان كل من الجسم والروح له سلطة على الآخر في زمن الحياة فقط ولكن الروح الغير هيولي غير مخلوط ولا مركب مع الجسم الهيولي. وعلى هذا القياس فإن طبيعة كلمة الله الإلهية لم تصر بواسطة التجسد مخلوطة أو مركبة مع ذات المسيح الإنسانية.

بل وأكثر من ذلك أن الله لم يدخل في علاقة مع مخلوقاته فقط بإرساله الوحي على رسله ولكن بخلقه الكون. ولا يمكننا أن ننكر وجود علاقة بين الخالق والمخلوقات التي صنعها. إننا نعرف أنه توجد علاقة ولكننا لا نفهم هذه العلاقة ما لم نؤمن بتعليم الثالوث الأقدس وإن أنكرنا هذه العلاقة فكأننا نعلن أننا كفرة ملحدون.

وكما أنه لم يحدث تغيير في ذات الله الكاملة الطاهرة من جراء خلقه وحفظه للعالم بعد أن جعل نفسه في علاقة مع المخلوقات كذلك لم يحدث أي تغيير في طبيعة كلمة الله الإلهية بعد أن دخلت في علاقة مع بني البشر. وكلتا هاتين المسألتين الهامتين اللتين هما خلق العالم وتجسد كلمة الله الإلهية هما من المعضلات العويصة الفهم في ذات الله الغير المدركة ولذا كان فوق عقل الإنسان المحدود أن يدركها تماماً فعلى كل عاقل تقي أن يتحد مع صاحب المزامير مسبحاً الله العلي العظيم بقوله: "إلى دهر الدهور سنوك. من قدمٍ أسست الأرض والسموات هي عمل يديك هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير وأنت هو وسنوك لن تنتهي" (مزمور ١٠٢: ٢٤-٢٧). أن أشعة الشمس تصل وتؤثر في كل ما على الأرض ولكن اتصالها مع هذه الأشياء لا يغير أبداً في طبيعتها. أيتجاسر أحد إذاً أن يحد حكمة الله وقوته ومحبته وحنوه ويقول (يستحيل أن أؤمن بتجسد كلمة الله في المسيح لأن عقلي لا يقبل تعاليم كهذه لكونها محقرة لله تعالى بأنها تظهر أنه يتغير وهو الغير متغير). أقول أنه يحسن بك أولاً أن تصير إنساناً عاقلاً تقياً باحثاً عما علمه لنا بواسطة أنبيائه ورسله في ما يختص بهذا الموضوع الهام ثم بعد ذلك يمكنك أن تقبل هذه التعاليم تعاليم الله إله الحق- إن حكمة الله وقوته وحسناته لا تقصى ولا تستقصى فهي غير محدودة ولكن الإدراك البشري صغير محدود وكما أن

الفنجان الصغير لا يمكن أن يسع ما في الأوقيانوس الواسع هكذا لا يمكن لعقل الإنسان أن يدرك أعمال وأفكار الله العظيمة الغير محدودة.

وسنوضح بمشيئة الله في الفصل الأخير من الباب الثاني أن إعلان الذات الإلهية في المسيح يسوع ربنا هي جامعة لرحمة الله وعدله ومحبته وقداسته. والآن لنذكر شهادة العهد القديم لألوهية المسيح حتى نرى هل تتفق أقوال الأنبياء في العهد القديم مع ما علمه كلمة الله نفسه وما علمه الرسل أيضاً في ما يختص بهذا الموضوع.

الفصل الثالث

شهادة العهد القديم

بألوهية مسيا المنتظر أي الرب يسوع المسيح

إن أهم غرض لوحي الله المدّون في سفر العهد القديم هو أن يهيئ الطريق لمجيء الرب يسوع المسيح فالعهد القديم شاهد عدل للمسيح مشحون بالنبوات التي تعلن زمان ومكان ظهوره وخلاصه الذي كان مزمعاً أن يقدمه للبشر وبه تفصيلات كثيرة عن آلامه وموته وقيامته [1] وذلك لكي يتسنى للباحثين عن الحق معرفته وخدمته عند مجيئه- يقول بولس الرسول في (رومية ١٠: ٤) "لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن)- فحق إذاً لأنبياء العهد القديم أن يشهدوا لمقام وعظمة مخلص العالم الموعود به ولذاته الحقيقية وذلك ظاهر من قول بطرس الرسول في (أعمال ١٠: ٤٣) "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن ينال باسمه غفران الخطايا". إن تاريخ الإنسان بعد سقوط آدم يبتدئ بوعد عن مجيء المسيح. اقرأ (تكوين ٣: ١٥) وفي آخر العهد القديم توجد بعض الآيات التي تتكلم عن هذا الوعد بعينه (اقرأ ملاخي ٤ عدد ٢و٥و٦) أنه لا يمكننا أن نأتي بجميع النبوات المختصة بالمسيح ولكن نذكر أهمها.

وفي أول هذا الفصل قبل التأمل في ما قاله الأنبياء عن ألوهية المسيح المنتظر

---

[1] انظر كتاب ميزان الحق الباب الثاني الفصل الرابع (تطلب الطبعة الجديدة من إدارة مطبعتنا)

يقول موسى عن مجيء مسيا أنه سيأتي نبي عظيم "قال لي الرب أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم [1] مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه" (تثنية ١٨: ١٨و١٩) وتكلم الله عن لسان أشعياء النبي عن عمل مسيا المنتظر بقوله "هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرب به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته- هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً. أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة. أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات" (أشعياء ٤٢: ١-٨). قارن ذلك بما جاء في إنجيل (متى ١٢: ١٧-٢١) وفي (أشعياء ٦١: ١و٢). يمثل المسيح بقول النبي "روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب" (قارن هذا بما قيل في لوقا ٤: ١٦-٢١). وقد قال زكريا عن دخول المسيح أورشليم قبل صلبه "ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان" (زكريا ٩: ٩). (قارن ذلك بما جاء في متى ٢١: ١-١١ ومرقص ١١: ١-١٠ ولوقا ١٩: ٢٩-٣٨ ويوحنا ١٢: ١٢-١٥). وقد تنبأ أشعياء النبي عن المسيح وأعماله فكتب قائلاً "ويخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب" (أشعياء ١١: ١و٢) قارن هذا بما جاء في (أعمال ١٣: ٢٣ ورؤيا ٥: ٥وص ٢٢: ١٦). ثم يتكلم أشعياء عن المسيح كقاضي جميع الناس وأنه سيبني مملكة ويلاشي كل شر من المسكونة بقوله (لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر) (أشعياء ١١: ٩) وقد قال النبي دانيال عن ذلك أيضا (كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض) (دانيال ٧: ١٣و١٤) قارن ذلك مع ما جاء في مرقس ١٣: ٢٦) هذه الكلمات الأخيرة تبرهن أنه لم يوجد مجال لأحد من الناس أن يأتي بعد المسيح مدعياً النبوة وفارضاً علينا إكرامه وطاعته

---

[1] **من أراد الاطلاع على ردي على تفسير المسلمين لهذه الآية فليقرأ "ميزان الحق" الطبعة الجديدة الباب الثالث والفصل الثاني.**

عوضاً عن المسيح الذي قال عن نفسه "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى ٢٤: ٣٥ ومرقس ١٣: ٣١ ولوقا ٢١: ٣٣).

يعلمنا آخرون من أنبياء العهد القديم أن المسيح لم يكن فقط نبياً وملكاً ولكنه كان أيضاً كاهناً فكان هو الكاهن الوحيد الذي يقدر أن يقدم للآب السماوي الذبيحة الوحيدة المقبولة من أجل خطايا العالم تلك الذبيحة التي لا تقدّر أمامها كل ذبائح اليهود التي عينها موسى في ناموسه. وهو وحده بحمله خطايانا يقدر أن يشفي أحزان قلوبنا ويضمد جراحاتنا ويعطينا خلاصاً ومنزلاً مع الله أبيه كما يقول صاحب المزامير "اقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (مزمور ١١٠: ٤) وقد تنبأ دانيال النبي عن زمن موت المسيح (اقرأ دانيال ٩: ٢٤-١٦) (وقال أشعياء إصحاح ٥٣: ٥و٦و٨و١١و١٢) "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا... أنه ضُرب من أجل ذنب شعبي... من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها... أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" وكل من طالع الإنجيل ودرسه درساً جيداً يعرف أنه قد تمت النبوة بموت المسيح يسوع وقيامته- وأن كل ما ذكرناه من آيات العهد القديم مفصل وموضح في العهد الجديد بواسطة الإلهام الإلهي وبعضه قاله المسيح عن نفسه.

والآن لنرجع إلى ذكر آيات العهد القديم المثبتة لألوهية المسيح المنتظر وكثير منها مدون في سفر أشعياء وقد وصف أشعياء النبي رؤيا (مجد) الله الذي يقول عنها الإنجيل رؤيا الرب يسوع المسيح في مجده بقوله "في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال قدود قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض... فقلت ويل لي أني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود" (أشعياء ٦: ١-٣و٥) وقد أشار يوحنا إلى هذه الرؤيا فذكر آيتين من نبوات أشعياء (اقرأ يوحنا ١٢: ٣٦-٤١). وإذا كانت رؤيا أشعياء هي رؤيا المسيح في مجده الذي كان له مع أبيه قبل خلق العالم فشهادة العهد القديم لألوهية المسيح واضحة جلية وهذه حقيقة لا تدحض إذ أن الآب لا يمكن أن يُرى بعيني بشر كما هو مكتوب "الله لم يره أحد قد الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر" (يوحنا ١: ١٨). وأيضاً قيل عنه "ملك الملوك ورب الأرباب... الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (١تيموثاوس ٦: ١٥و١٦) ويقول أشعياء النبي في آية أخرى "العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (ص ٧: ١٤) وقد ذكر البشير متى هذه الآية وقال أن النبوة قد تمت عن المسيح وقد زاد عليها أن

قال "عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" باللغة العبرية. ورب قائل يقول أن النبي أراد بذكر اسم هذا الابن أو لقبه إظهاراً لحضور الله مع شعبه. ولو لم يذكر أشعياء النبي شيئاً آخر عن ألوهية المسيح لكنا نسلم بهذا الشرح لأن هذا الاسم شائع بن الناس للآن بهذا المعنى، ولكننا نجد أن الله يعلمنا عن ألوهية المسيح المنتظر في مواضع أخرى في سفر أشعياء النبي وهكذا نفهم معنى هذه الآية بكل إيضاح ويكون تفسيرها "وسيكون المسيح الله معنا" ولذا قال المسيح عن نفسه "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩).

ورُب قائل يقول أن ألوهية المسيح ليست مثبتة تماماً في هذين الموضعين من سفر أشعياء بل هي استدلالات ونتائج ليس إلا وجواباً على ذلك نقول أن هذا الاستدلال صريح جداً ولو أضيف إليه ما جاء بالعهد الجديد المكتوب بإلهام الروح القدس لكان في هذا القدر كفاية لنا ولكن الله لكي يزيل كل شك تكلم عن لسان أشعياء عن ألوهية المسيح بلغة لا تحتاج إلى إيضاح فقال في نبوة أخرى "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبديا [1] رئيس السلام ولنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد غيرة رب الجنود تصنع هذا" (أشعياء ٩: ٦و٧).

والعبارة "ويدعى اسمه" (أو حرفياً يدعو هو اسمه) معناها "سيكون" والآية القائلة إلهاً قديراً أباً أبدياً تشير صريحاً إلى المسيح كما جاء في إنجيل متى إذ يقول في (ص٤: ١٢-١٦) "وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور" "والآية المقتبسة هنا هي بداية العبارة الواردة أعلاه في أشعياء ٩".

قبل أن نذكر بعض النبوات الأخرى يحسن بنا أن نذكر آية أخرى من أشعياء. ففي إصحاح ٤٠: ٣ يقول "صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قّوموا في القفر سبيلاً لإلهنا" وقد أشارت بشائر الإنجيل الأربع إلى هذه الآية وقالت أن هذا الصوت هو صوت يوحنا المعمدان أُرسل ليعد طريق الرب يسوع وقد وُلد يوحنا قبل المسيح بستة أشهر وبشر قبل إعلان المسيح نفسه قائلاً "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات... أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (متى ٣:

---

[1] **الترجمة الحرفية للعبارة الأصلية هي "أبو الأبدية"**

٢و١١). ولما سأل اليهود يوحنا من هو ولماذا يعمد قال لهم "أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي... أنا أعمد بما ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه" (يوحنا ١: ٢٣و٢٦و٢٧). ولكي يزيل كل شك في معرفة ذلك الرب الذي كان يعد طريقه والذي كان بمثابة رسول أمامه أعلن المسيح لليهود كما هو مكتوب "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء وشهد يوحنا قائلاً أني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو اثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشياً فقال هو ذا حمل الله فسمعه التلميذان فتبعا يسوع" (يوحنا ١: ٢٩-٣٧).

كان هذان تلميذي يوحنا المعمدان وكان أحدهما البشير يوحنا الحبيب الذي كتب بواسطة إعلان الروح القدس كل ما سمعه بأذنه من يوحنا المعمدان. وهنا نتعلم مما ذكرناه أن الشخص الذي كان مزمعاً أن يعد الطريق أمامه قد سماه أشعياء يهوه أي الرب والله (اقرأ إصحاح ٤٠: ٣) وفي هذا تأييد لألوهية المسيح المنتظر الرب يسوع المسيح.

ولنرجع الآن إلى النبي ميخا الذي كان معاصراً للنبي أشعياء وقد ذكر ميخا اسم الموضع المزمع أن يولد فيه المسيح المنتظر وصرح بوجوده منذ الأزل كما قال "أما أنت يا بيت لحم افراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا ٥: ٢) وقد فهم اليهود المعاصرون للمسيح أن هذه الآية تشير إلى مسيا المنتظر حقاً إذ لما تشاور هيرودس الملك مع الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح أجابوه "في بيت لحم اليهودية" وذكروا له هذه الآية إثباتاً لأقوالهم وأيضاً في ترجوم يوناثان وكذلك في التلمود الأورشليمي وفي تفاسير قمخي وتنخوم وأبانيل يُقال أن المذكور في هذا المقام هو الملك المسيح- وعدم قبول اليهود للمسيح بصفته المسيا الحقيقي لا يؤثر أبداً في تفسيرهم لهذه الآية وقد بين ميخافي نبواته عن المسيح "أن مخارجه [1] منذ القديم منذ أيام الأزل" وهذه الأقوال تؤيد صريحاً أن المسيح كان منذ الأزل وهذا إثبات صريح لذاته الإلهية لأن الله لا سواه هو الكائن منذ الأزل كما يقول صاحب المزامير "منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مز ٩٠: ٢) وهذا ينطبق تماماً على ما في (يوحنا ١: ١و٢) "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله

---

[1] **يليق بنا أن نلاحظ أن المصريين القدماء كانوا يستعملون لفظة "مخارجه" للدلالة على "أصله" أو "أوائله"**

وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عن الله" ويعلمنا النبي أرميا عن ألوهية المسيح بقوله "ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا" (أرميا ٢٣: ٥و٦).

أن الشرح اليهودي القديم المسمى "الترجمة الآرامية" يقول أن العبارة "وأقيم لداود غصن بر" معناها "وأقيم لداود مسيا البار" ويقول ربي داود قمخي المفسر اليهودي المشهور أن "الغصن" معناه المسيح وهنا أيضاً العبارة الأخيرة التي تقول "الرب برنا" لا تثبت صريحاً ألوهية المسيح ولكن لو أضفنا إليها ما سبق ذكره من الآيات العديدة لتوصلنا إلى المعنى العميق المقصود. وهذه النبوة التي نحن بصددها الآن تشير إلى الحوادث التي ستحدث عند مجيء الرب يسوع المسيح ثانية عندما يقبله الإسرائيليون ويجدون فيه السلام.

وأننا نجد أيضاً آيتين مهمتين إثباتاً لألوهية المسيح في نبوات زكريا قال في الأولى منهما "وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بكره" (زكريا ١٢: ١٠). إن الترجمة اليونانية السبعينية القديمة التي عملت قبل ميلاد المسيح بزمن طويل تقول "وينظرون إلي" كما في الأصل العبراني الذي يستعمله اليهود. ولو صح ذلك فكان الله يشير إلى اتحاده ووحدته مع كلمته الذي جاء إلى العالم وطُعن على الصليب ولكن توجد بعض الكتب العبرانية تقول "وتنظرون إليه" بدلاً من "تنظرون إلي" ويمكننا اعتبار هذه صحيحة أيضاً لأن يوحنا ذكرها في إنجيله ولكن علماء المسيحيين يعتبرون غموض هذه الآية والتباسها ولذا نقول لهم أن لا أهمية لها ما دام توجد آيات كثيرة في العهد القديم تظهر صريحاً ألوهية المسيح أما الآية الثانية الموجودة في (زكريا ١٣: ٧) تقول "استيقظ يا سيف على راعي وعلى رجل رفقتي يقول رب الجنود اضرب الراعي فتتشتت الغنم" أما معنى هذه الآية فلا يحتاج إلى إيضاح وقد ذكر المسيح جزءاً منها في الليلة التي كانت قبل صلبه فظهر أنها تشير إليه وإلى تلاميذه إذ قال "أن كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف" (مرقس ١٤: ٢٧) ونلاحظ هنا أن الله تكلم عن المسيح في نبوات زكريا كراعيه بل وأكثر من ذلك كرفيقه وصاحبه فمن من البشر أعطي له لقب كهذا؟- ذلك موضح في الإنجيل إذ يقول المسيح "أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف... أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب وأنا أضع نفسي عن الخراف... أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد... أن الآب فيّ وأنا فيه" (يوحنا ١٠: ١١و١٤و٢٩و٣٠و٣٨). ولو قارنا أقوال المسيح

نفسه وبما كتبه النبي زكريا في هذا الشأن لوجدنا المعنى ظاهراً واضحاً وأن العهدين القديم والجديد متفقان كل الاتفاق على ألوهية كلمة الله.

نقرأ أيضاً في أخر سفر من أسفار العهد القديم وهو نبوة ملاخي ما يأتي "هاأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود" (ملاخي ٣: ١) ويقول ابن عزرا المفسر اليهودي أن الرب يقصد بهذا الملاك ملاك العهد وأن ملاك العهد هو مجد الرب الذي ظهر في السحاب" (خروج ١٦: ١٩) وأن تلك السحابة هي "التي حلت على خيمة الاجتماع" (خروج ٤٠: ٣٤) والتي قادت بني إسرائيل في البحر الأحمر وفي البرية علامة على حضور الله معهم وقال ربي سليمان يرخي المشهور براشي أحد مفسري اليهود أيضاً أن "السيد" معناه "إله القضاء" أما ربي داود قمخي فيقول أن"السيد" معناه "مسيا الملك" وهذه التفاسير كلها متفقة مع أقوال العهد الجديد كما سنرى الآن وتظهر صريحاً ألوهية المسيح.

قال المسيح لتلاميذه أن الجزء الأول من هذه الآية يشير إلى يوحنا المعمدان (اقرأ متى ١١: ١٠ ولوقا ٧: ٢٧ ومرقس ١: ٢) ولما امتلأ زكريا بالروح القدس تنبأ عن ابنه يوحنا فقال "وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه" (لوقا ١: ٧٦). هذه الآية لا تبين فقط أن يوحنا المعمدان هو الملاك الذي تكلم عنه ملاخي ولكن تبين أيضاً أن الشخص الذي كان مزمعاً أن يهيئ الطريق أمامه هو الرب وهذه حقيقة ظاهرة لان المتكلم هنا هو"رب الجنود" ويقول عن يوحنا المعمدان "فيهيئ الطريق أمامي" فمما لا يحتاج إلى بينة الآن أن الشخص الذي أعد يوحنا المعمدان أمامه الطريق هو يسوع المسيح كلمة الله.

وإذ قد عرفنا شهادة التوراة والأنبياء يجب أن نقتبس بعض الآيات التي جاءت في المزامير ولنكتف بثلاث منها ففي المزمور الثاني (عدد ٧و٨و١٢) يقول "أني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك... قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق".

وهذا يشير إلى المسيح إذ قد جاءت هذه الآية القائلة "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" ثلاث مرات في العهد الجديد وقد ذكرت إيماء لوجود المسيح منذ الأزل وإثباتاً لقيامته من الأموات قال ربي سليمان يرخي أن مفسري اليهود قديماً يشيرون بهذه الأقوال إلى مسيا الملك وأن كان اعتقاده مخالفاً لاعتقادهم– وإثباتاً لهذه الآية قال المسيح عن نفسه "دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" أما قول المزمور "قبلوا الابن" فمعناه "اخضعوا له كملك" ونتيجة الكلام أن هذه الآية تظهر أن مسيا المنتظر كلمة الله هو ابن الله باتفاقها مع ما جاء في العهد الجديد.

يقول أيضاً المزمور الخامس والأربعون عن مسيا المنتظر "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مزمور ٤٥: ٦و٧).

وقد قال الرسول للعبرانيين أن هذه الأقوال تشير إلى المسيح وهي مؤيدة لألوهيته وكل تفسير غير هذا لا يفي بالمطلوب وقد وصف هذا المزمور اتحاد المسيح بكنيسته كعروس كما هو موصوف في سفر الرؤيا (اقرأ رؤيا ٢١: ٢و٩و١٠ وص٢٢: ١٧).

يقول أيضاً المزمور المائة والعاشر عدد ١ "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك"

وقد أشار العهد الجديد بهذه الأقوال إلى صعود المسيح وقال أنها مكتوبة عنه كما قال الإنجيل (متى ٢٢: ٤١-٤٦) "وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون في المسيح ابن من هو قالوا له ابن داود قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود (وهو نبي وملك) يدعوه "رباً" فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة" من هذه الأقوال يظهر أن مقام مسيا هو أعظم من مقام داود بل وظاهر أيضاً أن الشخص الذي يجلس عن يمين الله لا يمكن أن يكون أبداً إنساناً بشرياً ولا يمكن الرد على سؤال المسيح هذا إلا إذا تأملنا نبوات العهد القديم جيداً- ولو علمنا أن النبي أشعياء يسمي "مسيا عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام (عمانوئيل) وأن مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" لفهمنا أنه بعد موته على الصليب من أجل خطايانا وقيامته من الأموات لأجل تبريرنا لابد وأن يرجع إلى أبيه ليقاسمه المجد الذي كان له قبل تأسيس العالم. ولا يمكنا أن

نفهم كلام هذا المزمور إلا إذا سلمنا بألوهيته. وغير هذه وتلك توجد آيات أخرى كثيرة في العهد القديم تشير لظهور الله في هيئة منظورة لأسلاف الإسرائيليين ولأنبيائهم كإبراهيم خليله وموسى كليمه. ولكن نقرأ في الإنجيل أن الله هو غير منظور (اقرأ يوحنا ١: ١٨) إذ يقول "الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر" اقرأ أيضاً (يوحنا الأولى ٤: ١٢ ويوحنا ٦: ٤٦ و ١تيموثاوس ٦: ١٦ مع المقارنة بمتى ١١: ٢٧).

ولابد أن يكون لهذا التناقض إيضاح فلو رجعنا إلى التراجم اليهودية لوجدنا أن العبارة "ظهر الله" باللغة العبرانية مترجمة هكذا "ظهر كلمة الله" [1] وهذا يجعلنا نفهم أن الأقنوم الإلهي الذي ظهر لبعض عبيده في العهد القديم والذي أرسل أنبياءه هوهو بعينه كلمة الله الذي جاء إلى الأرض على هيئة إنسان وهو الرب يسوع المسيح. وكلمة الله هذا هو الواسطة التي جعلت الإنسان في شركة مع الله العلي الآب السماوي منذ خلق العالم ولما قال المسيح "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي) (يوحنا ١٤: ٦) لم يغير في طريقة الاقتراب لله الآب بل بيّن تلك الطريقة التي لم تزل الطريقة الوحيدة منذ إنشاء العالم. أن اللفظة "ملاك" ذُكرت في العهد القديم إشارة إلى كلمة الله عند ظهوره للأنبياء والرؤساء ومع أنه كان يظهر لهم في هيئة ملاك كانت له الذات الإلهية ولنأت بذكر بعض الآيات إيضاحاً لذلك.

ذكر الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين شفاعة إبراهيم قبل خراب سدوم وعمورة ففي عدد ٢ يقول "فرفع عينيه ونظر وإذ ثلاثة رجال واقفون" وتكلم إبراهيم معهم وفي الإصحاح التالي ذكر أن اثنين من هؤلاء الثلاثة كانا ملاكين ويقول الإصحاح الثامن عشر أن الثالث منهم كان "الرب" وقد ذهب الملاكان إلى سدوم لخلاص لوط وبقي الرب الذي كان معهما على هيئة إنسان أو ملاك مع إبراهيم خليل الله.

ذكر أيضاً الإصحاح الثاني والثلاثون من هذا السفر مصارعة يعقوب للملاك أو الإنسان (اقرأ عدد ٢٤و٢٨و٣٠) وقد أشار هوشع في نبواته إلى هذه الحادثة ومن أقواله نفهم أن ذلك الملاك الذي كان يصارعه هو "الله" أو "الرب" قال هوشع (ص١٢: ٣-٤) "وبقوته جاهد مع الله- جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه وجده في بيت إيل وهناك تكلم معنا والرب إله الجنود يهوه اسمه"

تكلم أيضاً الإصحاح الثالث من سفر الخروج عن إعلان الله لموسى وهناك نجد أن المتكلم الإلهي يدعى أحياناً رباً وأحياناً ملاك الرب فيقول في (خروج ٣: ٢و٤و٦) "وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق... فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى... ثم قال له أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله".

---

[1] مع أن اليهود لم يفهموا كما يفهم المسيحيون والمسلمون أن كلمة الله هو الرب يسوع المسيح كما ولم يفهموا أن كلمة الله هو مسيا الموعود به.

نقرأ أيضاً في الإصحاح الثالث عشر من الخروج أنه لما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر "كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم" (خروج ١٣: ٢١) وأيضاً في الإصحاح الرابع عشر عدد ١٩ "فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم" وبعد أن أعطى موسى لوحي الشهادة، لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله عندما عبد الإسرائيليون العجل الذهبي قال الله له "هوذا ملاكي يسير أمامك" (خروج ٣٢: ٣٤) وقد تم ذلك بإرسال عمود سحاب نزل ووقف عند باب الخيمة ويقول بعد ذلك "ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه" (خروج ٣٣: ١١).

وهنا نرى أيضاً أن المتكلم الإلهي قد أعطي لقب الله الذي لا ينطق به أحد مع أنه قيل عنه أنه ملاك الله ويزيدنا العهد الجديد إيضاحاً لأن المسيح تكلم عن نفسه أنه مُرسل من قِبل الله أبيه. اقرأ أيضاً عن ظهورات أخرى في (يشوع ٥: ١٤ والقضاة ٢: ١).

ربما يسأل بعض القراء هذا السؤال "إذا كانت ألوهية المسيح كلمة الله ظاهرة واضحة في العهد القديم فلِم رفضها اليهود لما جاء إلى العالم ولِم يرفضون قبول المسيح الآن؟" ورداً على هذا يجب أن نبين أن الكثيرين من اليهود قد قبلوا المسيح- يجب أن نعلم أن جميع الحواريين كانوا يهوداً كما كان أيضاً من قبلهم تلاميذ المسيح الأولون وبعد صعود المسيح قبله الألوف وعشرات الألوف من يهود أورشليم نفسها وغيرها أيضاً بل وفي زمننا الحاضر نجد كثيرين من اليهود آمنوا بتعاليم المسيح وصاروا أعضاء في الكنيسة المسيحية بل وأكثر من ذلك أن كبار المفكرين منهم وصلوا إلى نتيجة واحدة بعد أن درسوا العهد القديم وتصفحوا العهد الجديد وهذه النتيجة هي إما أن يؤمنوا أن يسوع المسيح هو مسيا المنتظر الذي وعد الله به آباءهم أو أن يقطعوا كل رجاء بإتمام هذا الوعد أي إما أن يصيروا مسيحيين وإما أن ينكروا إله آبائهم وبناء على ذلك قد صار الكثيرون كفرة ولكننا نشكر الله إذ وجد عدد ليس بالقليل قبلوا المسيح وآمنوا به والسبب الذي جعل اليهود لم يقبلوا المسيح وهو على الأرض هو أن محبة العالم قد أعمت قلوبهم وكل ما كانوا يطلبونه أن تكون لهم مملكة دنيوية وأن يكون لهم مسيا يقودهم إلى النصر ويخضع لهم الممالك المجاورة ويسلبها الغنائم ولم يفهموا تعاليم العهد القديم الروحية المختصة بمسيا المنتظر لذلك لم يقتربوا إلى المسيح حينما قادهم إلى طريق الخلاص من الخطية والشيطان- إن العالم أعمى قلوبهم فأرادوا مخلصاً ينقذهم من الملوك الأرضيين ولكن سيأتي يوم كما هو مكتوب يجيء فيه المسيح بقوة ومجد عظيم ويقبله اليهود مخلصاً لهم (اقرأ رومية ١١: ٥-٣٢ و٢كورنثوس ٣: ١٣-١٦ ورؤيا ١: ٧) وقد ظهرت علامات كثيرة لمجيء يسوع المسيح السريع هذا وهذه العلامات لا تخفى إلا على كل من هو أعمى بالروح.

وفي ختام هذا الفصل يجب أن نبين أن إبراهيم عند شفاعته عن أهل سدوم وعموره لقب الله "بديان كل الأرض" (تكوين ١٨: ٢٥) وقد قال المسيح أنه يدين العالم بنفسه في اليوم الأخير قال في (يوحنا ٥: ٢٢و٢٧) "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن ... وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" وهذا برهان آخر على أن الله الذي أعلن نفسه لإبراهيم هو كلمة الله وقد دعي باسم الله الذي لا يشركه فيه أحد. وقد أثبت المسيح ذلك في قوله "الحق الحق أقولك لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن."

أنه ظاهر في العهد القديم أن الله لما أعلن نفسه لآدم أب البشر ولنوح وإبراهيم واسحق ويعقوب ولموسى وللأنبياء الآخرين كان المتكلم الإلهي أزلياً وهو كلمة الله الذي ظهر في هيئة ملاك أو إنسان وفي ملء الزمن "صار جسداً وحل بيننا" ثم تجسد في المسيح يسوع ربنا وبواسطة ذلك الذي هو مُظهر الله الحق كلم الله سبحانه وتعالى خلقه.

والآن قد تبين مما ذكرناه من آيات العهد القديم والعهد الجديد أن الكتاب المقدس يعلمنا تعليماً صريحاً عن ألوهية كلمة الله أو بالحري الرب يسوع المسيح ونؤمل أن جميع القراء الكرام يدرسون هذه الحقيقة بإمعان كما جاءت في الكتاب المقدس ولنا ملء الثقة أن من يفتش عن الحق بكل جوارحه لابد وأن يجده في المسيح وليس في سواه. نعم قد يعمي التعصب بصيرة الإنسان ويضله عن تعليم الكتاب المقدس ولكن الله برحمته الغير محدودة مستعد لأن يرفع ذلك الحجاب الكثيف عن عيني كل من يصلي إليه بإخلاص وبسلامة النية طالباً الإرشاد منه.

ولكي تكون تعاليم ألوهية المسيح أكثر وضوحاً نتكلم بمشيئة الله ومساعدته في الباب الثاني عن تعليم الثالوث الأقدس في الوحدة الإلهية.

الباب الثاني

في حقيقة وإثبات تعليم الثالوث الأقدس

في الوحدة الإلهية

ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول فالفصل الأول يثبت تعليم الثالوث الأقدس بما جاء في آيات الكتاب المقدس ويذكر الفصل الثاني شيئاً عن هذا السر الإلهي ويبين الفصل الثالث كيف أن معرفة الله وخلاص الإنسان متفقان مع هذا التعليم[1]

الفصل الأول

إثبات تعليم الثالوث الأقدس

بما جاء في آيات العهدين القديم والجديد

قبل أن نبدأ بهذا الفصل يجب على حضرات القراء المحترمين أن يفهموا كل الفهم أن الإيمان بالوحدة الإلهية هو أساس المسيحية وإن كنا قد بينا ذلك قبلاً ولكنا نذكره ثانياً لنلفت إليه أنظار إخواننا المسلمين الذين دائماً وأبداً ينسون هذه الحقيقة المهمة بل ويسيئون فهمها أيضاً. إننا معشر المسيحيين نؤمن كما يؤمن المسلمون بإله واحد قادر على كل شيء خالق السموات والأرض وجميع ما يُرى وما لا يُرى ونؤمن بذلك يقيناً لأن العهدين القديم والجديد يعلمانا إياه صريحاً ولنذكر هنا بعض الآيات إثباتاً لذلك:

إن ناموس موسى يعلمنا وحدة الله في قوله "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (تثنية ٦: ٤) وقال الله في نبوة (أشعياء ٤٥: ٥) "أنا الرب وليس آخر لا إله سواي" (اقرأ عدد ١٤و١٨و٢١و٢٢وص٤٢: ٨) وقد ذكر المسيح الآية الأولى في إنجيل (مرقس ١٢: ٢٩و٣٠) عندما سألوه قائلين "أية وصية هي أول الكل؟" فأجاب المسيح قائلاً "أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك" ومكتوب في العهد الجديد أيضاً "نعلم أن ليس إله آخر إلا واحداً" (١كورنثوس ٨: ٤) وفي (أفسس ٤: ٦) يقول "إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم" هذا قليل من كثير من الآيات التي تظهر أن لا أساس ولا صحة في دعوى الشرك التي يرموننا بها واعتقادهم في أننا مشركون افتراء محض ناشئ عن عدم معرفة الكتاب المقدس وإننا نصرح على رؤوس الملأ أن الإنسان لا يمكن أن يكون مسيحياً ما لم يؤمن أن الله واحد لا إله سواه.

---

[1] **انظر أيضاً كتابنا "ميزان الحق" الباب الثاني الفصل الخامس ويطلب من إدارة المطبعة**

إن ما بيناه الآن هو تعليم الكتاب المقدس المختص بذات الله العلية ولكن هذا ليس كل التعليم الذي أرسله الله لبني البشر عن يد أنبيائه ورسله ولا يمكن للمؤمن الحقيقي أن يقبل جزءاً من التعليم دون باقيه ومن فعل ذلك فهو في ضلال مبين وليس من عبيد الله الأمناء- إن الله كما أنه أعلن لنا وحدته في الكتاب المقدس، أعلن لنا أيضاً ذاته المقدسة في نفس الكتاب في ثلاثة أقانيم وسمى لنا هذه الثلاثة الأقانيم –الآب والابن والروح القدس. والكتاب المقدس أطلق اسم "الله" على الثالوث الأقدس فقال "الله روح" ومعنى ذلك أن الله روح مطلق وكذلك قوله "الله محبة" (يوحنا ٤: ٢٤ و ١يوحنا ٤: ٨و١٦) ولكنه أعطى أحد الأقانيم اسم "الآب" كما قال يسوع "الآب يحب الابن" (يوحنا ٣: ٣٥) وقوله "الآب الذي أرسلني" (يوحنا ٥: ٣٠) وأعطى أقنوماً آخر اسم "الابن" أو "ابن الله" وهذا اللقب أُعطي لكلمة الله ومعنى هذا أنه الحكمة الأبدية التي أعلن الله بواسطتها ذاته الخفية الغير منظورة ويقول العهد الجديد في (العبرانيين ١: ٣) عن الابن "وهو بهاء مجده ورسم جوهره" لذا فيمكننا أن نقول أنه هو تجلي الذات الإلهية أو المظهر الإلهي أو معلن الآب. أما الروح القدس فليس هو الملاك جبرائيل أو أي مخلوق آخر كما يتوهم إخواننا المسلمون وإنما هو ذلك الروح الذي ينير ويقوي ضمائر وأرواح البشر وبواسطته يؤثر الله سبحانه وتعالى على الإنسان لعمل الخير وينقي ويطهر قلوب وحياة عبيده الأمناء. فالمسيحيون يعتبرون الله خالق جميع المخلوقات ومانح الحسنات والبركات ويعبدونه ويؤمنون أن الآب يمنح كل نعمة وكل حسنة بواسطة ابنه الوحيد كما يعلمنا الكتاب فالله لم يخلق العالم بواسطة ابنه ولم يحفظه ويعتن به فقط ولكن يخلص بواسطته عبيده من الخطية والهلاك الأبدي ويعطيهم خلاصاً أبدياً وسعادة حقة في دار الخلود وبواسطة الروح القدس يغير الله عقولهم ويطهرهم ويقودهم إلى معرفة الحقيقة والإيمان بالرب يسوع المسيح ويقدرهم على عمل الخير وهذا التعليم يسمونه المسيحيون تعليم الثالوث الأقدس. وإن لم تُذكر لفظة "الثالوث" في الكتاب المقدس، لكن هذا التعليم واضح بدون أدنى شك ومع أن المسيحيين قد تعلموا بواسطة إعلان الله لشعبة في الكتاب المقدس أنه يوجد بين الآب والابن والروح القدس فرقاً في أعمالهم إنما هذا الفرق هو في الأعمال الفدائية فقط لأنهم تعلموا أيضاً أن هذه الثلاثة الأقانيم ليست بثلاثة ذوات. ولا توجد إلا ذات إلهية واحدة وإله واحد كما أثبتنا ذلك من كلا العهدين القديم والجديد والقول بوجود ثلاثة آلهة إنما هو كفر وتجديف وتعاليم كهذه تناقض الكتاب المقدس ويمقتها المسيحيون.

إن كل عاقل متعلم يعرف جيد المعرفة أن الذات الإلهية غير محدودة وأن ذات الإنسان محدودة. إذاً فعقل الإنسان أصغر من أن يدرك أسرار الله العميقة الفهم- ولو لم تكن هذه المعرفة ضرورية لنا لما أعلن الله لنا نفسه في ثلاثة أقانيم ولو حاولنا أن ندرك هذا التعليم الذي أعطانا إياه الله فهذا يعتبر من قبيل التصلف والغطرسة فلنحاذر من أن نرفض شيئاً لم يستطع عقلنا

إدراكه وأيضاً أن لا نقبل شيئاً لم يعلمنا إياه الله في كتابه الكريم. إن إخواننا المسلمين يؤمنون معنا بوجود الله القدير مسبب الأسباب الغير المحدود المنزه الأزلي والأبدي ولكننا عاجزين عن أن نتصور أمامنا نهاية سلسلة هذه السببية أو ندرك معنى أبدي وأزلي ولكن هذا لا يمنعنا من أن نؤمن بالله بكل قلوبنا وعلى هذا المثال نؤمن نحن المسيحيين بتعليم الثالوث لأن الله أعلنه لنا في كتابه "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم" (٢تيموثاوس ٣: ١٦). وهذا التعليم يرشدنا إلى طريق الخلاص بواسطة يسوع المسيح ويجعلنا نعرف كيف نوفق بين ما يعلمه لنا الكتاب وما يعلمه لنا روح الله القدوس فيما يختص بوحدة الذات الإلهية. ولو لم يكن الله قد أعلن لنا هذا التعليم لما أمكن الإنسان أن يعرفه بنفسه كما أنه لا يمكنه أبداً أن يعرف من تلقاء نفسه بقيامة الأموات والحياة بعد الموت ولكن العقل يعلمنا أن الله الحق يعلمنا ما هو حق وسنبين الآن البراهين المثبتة لتعليم الثالوث الأقدس في الوحدة الإلهية كما جاء في الكتاب المقدس على النمط الآتي بيانه:

أولاً- أن الآب والابن والروح القدس واحد وأنهم إله واحد.

ثانياً- أن كلا من هذه الأقانيم الثلاثة له خاصية في عمل الفداء لا يشترك الآخر فيها.

ثالثاً- أنه لو فُصلت هذه الثلاثة عن بعضها (وذلك من المحال) لم يعبر أحدها وحده عن الله.

رابعاً- أن كل أقنوم باتحاده مع الأقنومين الآخرين اتحاداً أزلياً وأبدياً غير منفصل هو الله.

خامساً- أن كل أقنوم إلهي هو من ذات ومقام الأقنومين الآخرين.

سادساً- أن الكتاب المقدس قد أعطى الأقنوم الأول لقب الآب والخالق وأعطى للأقنوم الثاني لقب كلمة الله وابن الله والفادي وأعطى للأقنوم الثالث لقب المقدس والمعزي ويجب أن تفهم أن كلها أسماء فدائية.

سابعاً- أنه بما أن الثلاثة الأقانيم واحد في ذاتها فهي واحد في مشيئتها وغرضها وقوتها وأبديتها وفي سائر صفاتها.

ثامناً- أنه وإن كنا نجد في الكتاب المقدس ما يُفهم منه حسب الظاهر أن الآب أعظم من الابن فذلك من جهة ناسوت الابن لا غير أما الآب والابن واحد في الذات.

ويمكنا أن نعبر عن تعليم التثليث في الوحدة الإلهية بما يأتي "لا إله إلا الله الحي الحق الأزلي الأبدي بلا جسد ولا أجزاء ذو قدرة وحكمة وقداسة غير متناهية وهو خالق كل شيء وحافظ كل شيء منظور وغير منظور. وفي وحدة هذا الإله ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس والثلاثة واحد في الذات والقدرة والأزلية. آمين."

والآن بعد أن رأينا أن تعليم الوحدة قد ذُكر في العهدين القديم والجديد، وجب علينا أن نثبت أن وجود الثلاثة الأقانيم في الوحدة الإلهية قد أُعلن أيضاً في الكتاب المقدس.

أن المسيح نفسه قد أظهر ذلك وعلم أن تعليم الثالوث الأقدس فرض واجب على كل مسيحي أن يعتقد به لأنه قبل صعوده قال لتلاميذه عندما أرسلهم ليبشروا بالإنجيل في جميع أنحاء العالم "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٨و١٩) وهنا يعلمنا المسيح أن الأقانيم ثلاثة ولكنهم واحد–هم ثلاثة ولكنهم متحدون في الوحدة الإلهية وفي هذا المقام يظهر تعليم الثالوث جلياً لأنه من المستحيل أن نتصور أن الابن والروح القدس مشتركان مع الآب في اسم الله العلي العظيم مع وجود تفاوت بينهم وقد بينا في الفصل الأول من هذا الكتاب أن العهدين القديم والجديد قد شهدا بألوهية المسيح كلمة الله ولنترك شهادة ألوهية الآب إذ لا حاجة بنا إليها لأنها ليست موضوع شك ولأن كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس تشهد له كما وأن هذا الكون يشهد له والآن سنبين أن الكتاب المقدس شهد أيضاً بألوهية الروح القدس وهنا يجب أن نعلم أن الروح القدس مساو للآب والابن في ذاتهما ومقامهما وقد ذكر المسيح في بعض الآيات أن الروح القدس متحد به وبأبيه اتحاداً تاماً في (يوحنا ١٥: ٢٦) "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" هنا يشهد المسيح أن المعزي متحد به وبأبيه الله في مشيئتهما وغرضهما لذا فهو من ذات الابن والآب وقد ذكرت الثلاثة الأقانيم معاً في آيات كثيرة نكتفي بواحدة منها وهذه الآية تثبت أن الحواريين أطاعوا المسيح وعمدوا الناس باسم الثلاثة الأقانيم الذين هم ذات واحدة إذ قال الرسول بولس في أخر إحدى رسائله "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كورنثوس ١٣: ١٤). ولو لم يتعلم المسيحيون الذين وُجهت إليهم هذه الصلاة تعليم الثالوث الأقدس قبل عمادهم وعلموا جيداً أن هذا التعليم هو جوهر الإيمان المسيحي لصعُب جداً عليهم فهمها. وإذ قد أثبتنا ألوهية ابن الله في الفصل الأول كما ذكرنا نبتدئ الآن في إثبات ألوهية الروح القدس إثباتاً صريحاً مما جاء في الكتاب المقدس– يعلمنا الكتاب المقدس ألوهية الروح القدس في طريقتين: (أولاً) بأن ينسب له صفات وأعمالاً إلهية (ثانياً) بأن يتكلم عنه كأنه الله.

ففي التوراة قال النبي موسى بإلهام الله مبينا كيف خلق الله العالم "في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه" (تكوين ١: ١-٢) وهنا يعلمنا الكتاب المقدس أن الروح القدس ليس بكائن قبل خلق العالم فقط بل كان يرف على وجه المياه عند خلق الأرض، لذا فهو مشترك مع الله في خلق العالم ولكنا نعلم أن خلق الخليقة عمل الله لا سواه إذاً فيكون للروح القدس الذي اشترك في خلق الخليقة ألوهية الله التي أيضاً للمسيح كلمة الله الذي "به كل شيء كان".

انه توجد آيات كثيرة في العهد القديم تشير إلى الروح القدس ولكنها قليلة جداً بمقارنتها مع ما جاء في العهد الجديد من الآيات المختصة بهذا الموضوع ويجب هنا أن نلاحظ أن إعلان الله نفسه كان تدريجياً فالآخر منها هو الأتم ويصعب علينا أن نذكر كل الآيات التي تتكلم عن ذات وصفات وعمل الروح القدس ولذا نكتفي بالقليل المشهور منها وقد أشار الله في (١كورنثوس ١٢: ٤-١١) عن المواهب المعطاة لشعبه فقال "فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة فإنه لواحد يعطي بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ولآخر إيمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء."

من هذا نفهم أن النبوات وعمل المعجزات هي بواسطة حلول الروح القدس إذاً فلابد أن يكون الروح القدس له صفات الألوهية. وأيضاً نقرأ في نفس الرسالة "ما لم تر عين ولم تسمع إذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١كورنثوس ٢: ٩-١١)ومن هنا نتعلم أيضاً أن الروح القدس هو علام الغيوب وهذه الصفة صفة العلم بالغيب صفة إلهية لا تكون في مخلوق أبداً وقد دعا المسيح الروح القدس باركليت أن معزياً ومعيناً لأنه يرشد أبناء الله إلى الحق ويقودهم إلى سواء السبيل.

وقد أعطي للروح القدس لقب الله أيضاً فقد قال الرسول بطرس لحنانيا الذي كان قد باع ملكاً واختلس من الثمن مدعياً أنه مكرس لخدمة الله "يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل؟ أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في

سلطانك؟ فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟ أنت لم تكذب على الناس بل على الله" (أعمال ٥: ٣-٤). وهنا يظهر لنا بطرس صريحاً ألوهية الروح القدس.

يقول الكتاب المقدس أيضاً "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (١كورنثوس ٣: ١٦-١٧). وهنا يذكرنا الرسول أن الروح القدس يسكن في قلوب المسيحيين الحقيقيين ويملك عليها ويطهرها من كل خطية وشر جاعلاً أيضاً أجسادهم طاهرة مقدسة منقذاً إياهم حتى لا تتنجس أنفسهم وتهلك بسبب الخطية لأنها هياكل الله وسيقع العقاب المخيف على كل من ينجس قلبه وجسده الذي هو هيكل لله ولكن من جهة أخرى لا يمكن أن تكون هياكلنا طاهرة إلا عند حلول الله فيها لأن هيكل سليمان الفاخر العظيم الذي بناه في أورشليم لم يعتبر هيكلاً إلا بعد أن حل الله بعظمته فيه. وإذا لم يكن روح الله إلهياً لما أمكن لحلوله أن يحول قلب التقي هيكلاً لله كما تقول الآية التي نحن بصددها فنتيجة الكلام حينئذ أن الروح القدس هو الله.

إن إخواننا المسلمين يفرقون بين "روح الله" و"الروح القدس" فيقولون أن روح الله هي لقب من ألقاب المسيح أما الروح القدس فهو الملاك جبرائيل ولكن أولئك الذين لهم معرفة بالكتاب المقدس يعرفون أن ذلك خطأ مبين فلم يذكر المسيح أبداً في الكتاب المقدس أنه روح الله ولكن اللقبان "روح الله" و"الروح القدس" خاصان بالأقنوم الثالث. ولنذكر هنا بعض شواهد الكتاب إيماء لذلك ففي (المزامير ٥١: ١١) مكتوب "لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني" وفي (أفسس ٤: ٣٠) "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" ففي الآية الأولى يطلب داود من الله خلاصه من الخطية ونجاته منها بواسطة قوة الروح القدس وفي الآية الثانية يحذر الرسول المسيحيين أن لا يحزنوا روح الله القدوس الذي به ختموا كورثة للخلاص وكلا الروحين فيهما القوة المقدسة ويستنتج من ذلك أن الروح القدس وروح الله واحد في المعنى وفي الذات.

ويفهم مما ذكرناه من الآيات أن الآب والابن والروح القدس ليسوا ثلاثة أسماء للوحدة الإلهية بل للدلالة على وجوب التمييز بين كل أقنوم وآخر أعني أن أقنوم الآب هو غير أقنوم الابن وأقنوم الآب أو الابن هو غير أقنوم الروح القدس. وفي الشواهد العديدة التي اقتبسناها من الكتاب تسمى الآب- الله- والابن -الله- والروح القدس- الله- لأن الوحدة بين الثلاثة في الجوهر لا تنفصم- فلم يقل المسيح قط أنه بدون الآب بل كان بالحري يشير دائماً إلى وحدته مع الآب كما في (يوحنا ١٠: ٣٠) "أنا والآب واحد" وقال في يوحنا ١٤: ١١ "صدقوني أني في الآب والآب فيّ" وقال في يوحنا ١٧: ١٠ "وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي" وقد تكلم المسيح

أيضاً عن الروح القدس فقال انه مع الآب والابن الكل واحد في المشيئة والإرادة كما قال في (يوحنا ١٦: ١٣-١٥) "وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي لهذا قلت أنه يأخذ مما لي ويخبركم بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب" [1] وبسبب هذه الوحدة الأزلية لهذه الذات الإلهية دعي الروح القدس روح الآب ودعي أيضاً روح الابن كما قال المسيح لتلاميذه "لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (متى ١٠: ٢٠) وكتب الرسول قائلاً "بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب" (غلاطية ص٤: ٦).

وقد أُعطي الروح القدس هذين اللقبين معاً في آية واحدة كما جاء في رومية ٨: ٩ "وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له."

وبمطالعة الكتاب المقدس يتضح لنا أن خلق العالم وفداء الجنس البشري وغفران الخطايا وقيامة الموتى والدينونة الرهيبة تارة تنسب للآب وتارة للابن وأحياناً أخرى للروح القدس بطريقة تثبت أن الثلاثة الأقانيم متحدون في الذات والمقام والقوة والمشيئة وهؤلاء الثلاثة هم الله الواحد لا إله إلا هو وقد بينا ذلك في آيات كثيرة ونأتي هنا بآيات أخرى حتى تكون الفائدة أعظم ففي نبوات أشعياء مكتوب "أنت يا رب أبونا ولينا (فادينا) منذ الأبد اسمك" (أشعياء ٦٣: ١٦) وفي (لوقا ١: ٦٨-٦٩) "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه" وفي كولوسي ١: ١٢-١٤ "شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" وفي (روميه ٣: ٢١-٢٦) "أما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" وفي (١كورنثوس ٦: ١٤) "والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته" وفي (رؤيا ١٤: ٦-٧) "ثم رأيت ملاكاً آخر طائراً في وسط السماء معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمه وقبيلة ولسان وشعب قائلاً بصوت عظيم خافوا الله وأعطوا مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته" وفي (يوحنا ٥:

[1] **انظر كتاب ميزان الحق باب 3 فصل 2 لأجل شرح هذه الآيات الحقيقي لدحض الشبهات.**

٢١-٢٣) "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الابن أيضاً يحي من يشاء لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب".

من كل هذه الآيات المتشابهة نتعلم أن الله القدير الواحد يعلن نفسه ويجري عظيم أعماله بين خلقه كالحفظ والفداء والتجديد والدينونة والرحمة بواسطة الكلمة الأزلية الابن والروح القدس أيضا وكما أن الله ذات واحدة فله مشيئة واحدة أيضاً متفقة في سائر أعماله وأن الآب والابن والروح القدس هم الله الواحد القدير إله العدل والحكمة إله الخلاص والرحمة الذي له المجد والكرامة والملك والحمد إلى الأبد. آمين.

قد قلنا أن العهد القديم لا يوضح تعليم التثليث كما يوضحه لنا العهد الجديد وذلك يدل على أن إعلان الله نفسه كان تدريجياً على قدر طاقة الإنسان وإدراكه وأيضاً لأن الإسرائيليين عاشوا في الزمن القديم بين الوثنيين واستمروا زماناً طويلاً يميلون إلى عبادة الأصنام والاعتقاد بتعدد الآلهة. فلو كان الله أعلن لهم تعليم الثالوث الأقدس قديماً قبل مجيء المسيح لأساءوا الفهم وعبدوا ثلاثة آلهة. فالله في حكمته الواسعة لم يعلن هذا التعليم صريحاً في العهد القديم غير أنه وجد شيء ليس بالقليل لا يمكن فهمه على حدة بدون تعليم العهد الجديد وقد ذكرنا في الباب الأول من هذا الكتاب جملة آيات من هذا العهد تثبت لنا ألوهية مسيا المنتظر ولكن توجد آيات أخرى أيضاً تظهر لنا تعدد الأقانيم في وحدة الذات الإلهية.

ومن بين هذه الآيات توجد آيات ذُكر فيها الضمير أو الفعل جمعاً مشيراً إلى الله سبحانه وتعالى ففي (تكوين ١: ٢٦) يقول "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" ثم في عدد ٢٧ يستعمل المفرد بدل الجمع فيقول "خلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه" وفي (تكوين ٣: ٢٢) قال الله لآدم بعد أن أكل من الشجرة المنهى عنها وعرف الشر من الخير "هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر" وقال أيضاً عند بناء برج بابل "هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم" (تكوين ١١: ٧) وهذا القول مشابه تمام المشابهة لأقوال المسيح إذ قال "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣).

ومن أهم الآيات التي جاءت في العهد القديم عن ذلك السر العظيم سر الثالوث المقدس في وحدة الذات الإلهية ما يأتي:

(أولاً) الآيات التي فيها أمر الله موسى أن يكلم هرون وبنيه بالكلام الذي يجب عليهم أن يباركوا به بني إسرائيل "وكلم الرب موسى قائلاً كلم هرون وبنيه قائلاً هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم يباركك الرب ويحرسك

يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك

يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً" (عدد ٦: ٢٢-٢٦).

ربما يظن البعض أن تكرار اسم الله العظيم ثلاث مرات يُقصد به التأكيد ولكننا نرى من نور الإنجيل أن هذا يشير إلى تعليم الثالوث الأقدس وإن لم يكن برهاناً عليه.

(ثانياً) أنه توجد آيات مهمة جداً في نبوات أشعياء ولا يمكن أن تفسر تفسيرا كافيا إلا بمقارنتها بآيات العهد الجديد التي تتكلم عن تعليم الثالوث ففي (أشعياء ٤٨: ١٢-١٣و١٦) يقول الله "اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته أنا هو أنا الأول وأنا الآخر ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات. أنا أدعوهن فيقفن معاً... تقدموا إلي اسمعوا هذا لم أتكلم من البدء في الخفاء منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه" وهنا يقول الأول والآخر خالق السموات والأرض أن السيد الرب قد أرسله وروحه لقضاء مهمة إلهية معينة منذ البدء وهنا تظهر الأقانيم الثلاثة بأجلى بيان وجميع هذه الآيات تتفق تمام الاتفاق مع تعليم العهد الجديد إذ يقول فيه المسيح "أنا هو الأول والآخر والحي" (رؤيا ١: ١٧). ويعلمنا أن الآب أرسله ويرسل روحه القدوس ليحل في قلوب المسيحيين الحقيقيين ويرشدهم إلى معرفة الحق.

وفي العهد القديم آيات كثيرة تشير إلى تعليم الثالوث ولكنها لا تظهر أمامنا واضحة إلا بمطالعة العهد الجديد مُكمل العهد القديم وإن كان هذا التعليم غامضاً في العهد القديم إلا أنه يطلب من كل مؤمن بالله بالحق أن يقبل ما أعلنه في كتابه المقدس. والعهد الجديد هو نور يستضيء به الإنسان وبه يدرك ما أشكل عليه فهمه من العهد القديم إذ أن العهدين مكملان بعضهما بعضاً ولا يُستغنى عن أحدهما. فاليهود لا يمكنهم أبداً أن يفهموا أسرار العهد القديم الذي يؤمنون به ويجلونه ما داموا يرفضون الإنجيل وتعاليمه.

فكتاب العهد الجديد قد وضح تعليم الثالوث توضيحا ظاهرا وقد رأى الله علام الغيوب من حكمته الواسعة أن لا ضرورة لذكر أكثر من ذلك لإعلان نفسه للبشر وقد علمنا الله في هذا المقام كما في أمور أخرى كالحياة بعد الموت والقيامة من الأموات ما هو كافياً لإنجاز الواجب المفروض علينا لا اتباعاً لرغبتنا في المعرفة وفضوليتنا وحيث أن عقل الإنسان عاجز عن إدراك أسرار ذات الله الغير المحدودة فلا يمكن لأحد أن يقول أكثر مما أعلنه الله في كلامه. أما عقلنا فهو قادر فقط أن يرشدنا لنقبل ما هو حق وما أعلنه الإله الحق يرشدنا أن نعلم أن ليس إله إلا واحد وأن في الوحدة الإلهية ثلاثة أقانيم وهم الآب والابن والروح القدس. ولا تستحوذن علينا الغرابة إذ لم يمكنا أن نسبر هذه الأسرار لأن الله عليم يزن الأشياء بميزان العلم والمعرفة وهو

نفسه لا يمكن أن يُعرف هو الحكيم ومن فرط حكمته المتناهية تظهر حكمة الإنسان كأنها نقطة في بحر أمام تلك الحكمة الواسعة وما إدراك الإنسان الروحي إلا ذرة من بهاء مجده الساطع الذي يفوق كل وصف.

وإن كنا نجد صعوبة في توضيح تعليم الثالوث توضيحاً تاماً ولكنا نؤمل بإرشاد روح الله أن نوضح ذلك في الفصل الثاني حتى يفهم أولئك الذين يفتشون عن الحق ذلك التعليم الذي أعلنه الله في كتابه والذي لا يناقض العقل أبداً وإن كنا لا نقدر على إدراكه لضعف عقولنا ولا نقدر أن نفهمه من تلقاء أنفسنا لو لم يعلنه الله لنا.

الفصل الثاني

في بعض الإيضاحات المختصة بهذا السر الإلهي سر الثالوث الأقدس

بعد كل ما ذكرناه من الآيات المختصة بتعليم الثالوث في الفصل السابق وجب على كل إنسان يؤمن بكلام الله أن يقبل أن في وحدة الذات الإلهية ثلاثة أقانيم ولكن يوجد كثيرون لا يؤمنون بالكتاب المقدس ولهذا يرفضون تعاليمه أولئك الذين أعماهم التعصب الناتج من عدم فهمهم هذا التعليم فقالوا أنه محض افتراء منا مناقض للعقل ولكنا سنوضح بمشيئة الله في هذا الفصل أن هذا التعليم عندما يُفهم لا يكون بعد مناقضاً للعقل لأن العقل يحتاج إلى تعاليم كهذه تنزع من أمامه الصعوبات التي تعترضه في سبيل الإيمان بوحدة الله فيصبح الإنسان قادراً أن يحصل على معرفة الله معرفة حقيقية شخصية إذ لا دين ولا تقوى بدون هذه المعرفة.

فمن الاعتراضات التي قامت ضد هذا التعليم قول البعض "كيف يكون في الذات الإلهية الواحدة ثلاثة أقانيم مع وجود التمييز بين كل منها وكيف يكون في الأحدية جمع؟"

ورداً على هذا الاعتراض نزيد على ما ذكرنا من الإيضاحات لنظهر أن لا اختلاف ولا تناقض في تعليم الثالوث في الوحدة ورغبتنا الشديدة أن يتبع حضرات القراء الكرام بكل روية وإمعان كل ما يقال في هذه العجالة قبل أن يبتوا في هذا الموضوع ولنا ملء الثقة أنهم بذلك وبطلب الإرشاد من الله الرحيم يعلمون ويؤمنون بصحة تعليم الكتاب المقدس عن ذات الله.

وسنرى ونحن في طريق بحثنا أن ما يزعمه البعض بأن المسيحيين يؤمنون بثلاثة أقانيم هي ثلاثة وحدات عددية منفصلة عن بعضها أن هذا الزعم مناقض لتعاليم المسيحية كل التناقض.

نعم لو كنا نعتقد أن الوحدة هي وحدة عددية منفصلة ففي تلك الحالة لا تجتمع الأحدية والجمعية وكذلك لا يوافق تعليم الثالوث الأقدس القول بوحدة الذات الإلهية– لكنا لم ولن نقول بثلاث وحدات عددية منفصلة وإنما هذا الزعم الباطل هو العامل الأقوى في سوء فهم الغير لتعليم الثالوث الأقدس[1]

ولا يخفى على ذوي الألباب أن الله أعلن نفسه في أعمال الخليقة وفي كتابه المقدس أيضاً وحيث أن الخليقة صدرت من نفس مصدر الوحي الإلهي فإنها نوعاً ما تشرح معناه لنا كما أنه من الجهة الأخرى يحل الكتاب المقدس بعض الغاز الطبيعة (أي الموجودات) ومن يمعن النظر في هذه الموجودات ويدرس تأثير الواحدة على الأخرى ويدرس خاصيتها واتحادها مع غيرها يجد سهولة نوعاً ما في فهم تعليم الكتاب المقدس وعلى هذا المثال تعليم الثالوث في الوحدة لأننا سنرى في الخليقة بعض المشابهات بهذا السر العظيم فأعمال الله كلها والأشياء التي صنعها تمثل لنا أفكار الله مسبب الأسباب حتى يراها الإنسان فيدرك بواسطة هذه الأشياء المنظورة ما هو غير منظور أمامه. وكل من يبحث عن الحق يرى أمامه العالم بنظامه العجيب كأنه مدرسة يتعلم فيها مبادئ معرفة العالم الروحي الأبدي ولو لم يسقط الإنسان في الخطية ويبتعد عن الله ولو لم يكن إدراكه الروحي قد اظلم وضعف لحصل على معرفة حقيقية من جهة نفسه ومن جهة الله بواسطة معرفة العالم ودرس قوانينه. وربما كان لا يعوزنا كلام الله المكتوب لأجل تعليمنا ولكن حالتنا الحاضرة حالة الظلمة التي سقطنا فيها بواسطة الخطية جعلتنا محتاجين كل الحاجة إلى كلام الله المدون ليكون لنا مرشداً وشاهداً على كلمة الله الواحد المتجسد الذي بدونه لا يمكن للإنسان أن يحصل على معرفة ذلك الذي "به نحيا ونتحرك ونُوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

ولنرجع الآن إلى الطبيعة عمل يدي الخالق ولنظهر منها أن الجمع لا يناقض الوحدة وقبل أن نبسط هذا نرجو من حضرات القراء الكرام أن يتذكروا أننا نسلم بأمرين تمام التسليم (أولهما) أنه لا يوجد بين الله وبين أحد مخلوقاته مشابهة تامة من كل جهة (وثانيهما) أننا لا نريد بهذه الأمثال أن نبرهن على حقيقة تعليم الثالوث ويجب أن نعلم أن هذا التعليم لا يمكن إثباته إلا بما أعلنه الله في كتابه ومهما جد الإنسان واجتهد لا يمكنه ولن يمكنه. وقد أثبتنا صحته من الكتاب المقدس وفي هذا كفاية لكل من يؤمن أن الكتاب المقدس موحى به من الله تعالى.

---

[1] **قال هيجل وهو أعظم فيلسوف ألماني "لو فرضنا بأنه لا معنى قط في المعتقد الذي بقي مدة 2000 سنة معتقد مسيحي (أي الثالوث الأقدس) فيكون في ذلك عجب العجاب" (اه) وقد اعتقد هيجل أن ذلك التعليم هو الأساس الجوهري للديانة.**

أما غرضنا الآن فهو أن نبين أن التعليم متفق مع ما نتصفحه من موجودات العالم التي حولنا ومن طبيعة الإنسان الداخلية وإذا وجد أحد القراء أنه عاجز عن فهم بعض الإيضاحات التي سنذكرها أو وجدها شيئاً لا يُعتد به فنكون قد حاولنا عبثاً أن نزيل هذه الصعوبات التي تعترضه في سبيل فهم هذا التعليم ولكن فشلنا هذا لا يمنعه من أن يعتقد أن الكتاب المقدس يعلم هذا التعليم. إننا الآن لا نتكلم عما جاء في الكتاب ولكننا نريد أن نبين أن الطبيعة تعلمنا عن هذا السر الإلهي العظيم وإن اعترض بعضهم بقوله أن الطبيعة لا تعلمنا هذا السر بصراحة تامة فنحن نوافقهم على ذلك لأن غرضنا هنا كما قلنا هو أن نشرح مثله من الطبيعة الحقائق التي أعلنها الله لنا في كتابه.

أجمع الفلاسفة أن كل موجود له ثلاث نسب أو درجات وهذه النسب أو الدرجات هي الذات والصورة والقوة [1] وعلى ذلك يمكنا أن نقول أن كل شيء منظور لدينا أو مدرك بحواسنا ينحصر تحت ثلاث مقولات وهي الكم والكيف والنسبة أو الإضافة [2]. إذن فمعرفتنا بهذا الشيء هي معرفتنا لثلاثة أشياء. ولو تركنا كل هذه الأفكار وتأملنا مثلاً في النار نجد أنها تحتوي على ثلاثة أشياء وهي الحرارة والنور واللهيب وإن كانت هذه الأشياء الثلاثة تختلف عن بعضها البعض ولكنها تكون معاً ناراً واحدة ولا يمكنا أبداً أن نجد ناراً ينقصها شيء من هذه الأشياء الثلاثة. نجد أيضاً أن الشعاعة الواحدة من الشمس تتكون من ثلاثة ألوان وهي الحمرة والخضرة والزرقة ولكن جمع هذه الألوان لا تفقد وحدتها في الشعاعة الواحدة وفي هذه الشعاعة أيضاً نجد نوراً وحرارة وقوة كيماوية ولكن وجود هذه الأشياء الثلاثة لا يحول الشعاعة الواحدة ثلاثاً.

إن الإنسان يحتوي على جسد ونفس وروح (١تسالونيكي ٥: ٢٣) ولكن هذه الثلاثة لا تجعله ثلاثة أشخاص ولا تغير وحدة ذاتيته فروح الإنسان هي النسمة الداخلية التي يمكن أن تكون بواسطتها علاقة مع الله ويقدر أن يستمد منه الإرشاد والقوة التي يحتاجها حتى يعرف ويعمل واجبه الذي عليه أما النفس فهي الحلقة المتوسطة بين الجسم والروح وهي جوهر الحياة Vital principle.

يقول بعض فلاسفة المسلمين عن الروح أنها النفس الناطقة والعقل المدرك وقالوا عن النفس أنها الروح الحيوانية ولكن يسهل علينا معرفة الفرق بين الروح والنفس بأن نقول أن للحيوانات أنفساً وليست لها أرواح وأن الإنسان سيحيا بعد الموت لأن فيه روحاً ومن تعاليم الكتاب المقدس عن القيامة يتضح أن علاقتنا بالجسد غير وقتية (أي باقية بعد قيامة الأجساد) فيجوز لنا والحالة

---

[1] والفرق بين هذه وبين تقسيم أرسطو إلى جوهر وشكل ونتيجة فرق طفيف جداً.

[2] لا يخفي أن أرسطو قسمها إلى عشرة لكن تقسيمنا كافئ وهو عصري وبسيط.

هذه أن نتكلم هكذا عن طبيعة الإنسان الثلاثية ولكننا حتى ولو تركنا الجسد جانباً نجد أن في ذات الإنسان الداخلية الغير منظورة ثلاث وجودات وهي الروح والنفس والعقل ولا ضرورة بنا أن نذكر الفرق بينها فكلنا مسلم بذلك إنما المهم هنا أن نبين أن التعدد لا يناقض وحدة الإنسان ولفظة "أنا" تُطلق على كل منها.

يقول الإنسان "أنا أؤمن بالله" يكون المتكلم حينئذ هو الروح ويكون الضمير "أنا" هنا عائداً عليها. ولما يقول "أنا أعيش" تكون النفس حينئذ ناطقة بالضمير عينه "أنا" ولما يقول "أنا أفكر" يكون المتكلم هنا العقل. من هنا يظهر أن ذاتية الإنسان لا تتغير أبداً فهي واحدة على الدوام. إن إخواننا المسلمين يسلمون بالقول أن تعدد الصفات متفقة مع وحدة الجوهر. ولكننا لا نتكلم الآن عن صفات الإنسان وإنما وجد أن تعدد الإنسان الداخلي أي (روحه ونفسه وعقله) لا يخالف وحدة شخصيته فمن الخطأ أن يقول أحد أن وجود تعدد مع وحدة مستحيل ويناقض العقل.

يعتقد عقلاء المسلمين كما يعتقد المسيحيون أنه يستحيل إدراك الله كوحدة محضة مطلقة بلا صفات والصفات السامية الكثيرة التي ينسبونها لله تفيد تعدد هذه الصفات فيه وفي هذا يتفق المسلمون والمسيحيون معاً كما أن جميعهم متفقون على وحدة ذاته تعالى ونسلم أيضاً أن تعدد صفات الله لا يغير أبداً في وحدته. فإن سلمنا بتعدد صفاته لم نستبعد هذا التعليم الذي نحن بصدده أن نؤمن بوجود ثلاثة أقانيم في الوحدة الإلهية. قال بعض الفلاسفة في اعتقاداتهم المختصة بوحدة الذات الإلهية أن لا صفات لله وبذلك ينكرون صفات الله الحسنى كمعرفة نفسه وإرادته وقوته لإعلان ذاته.

وهذا التجديف هو نتيجة التمسك الشديد بتعليم الوحدة الإلهية ذات التعليم الذي منع المسلمين من قبول تعليم الكتاب المقدس عن الثالوث الأقدس.

ظن البعض أن ديناً من الديانات الوثنية يقول أنه يمكن للإنسان بإرشاد عقله أن يدرك وجود ثلاثة أقانيم في الوحدة الإلهية فقال البعض أن هذه حجة راهنة على حقيقة الثالوث. أما أعداء المسيحية فقالوا أنه برهان على أن تعليم الثالوث مأخوذ من أصل وثني وأخيراً أظهر بعض الباحثين أن بعض التعاليم المشابهة لتعليم التوراة ذكرت في الكتب الوثنية وبعد البحث والتنقيب ظهر أن كثيراً من الديانات قد اعتقدت في ثلاثة آلهة هي غالباً أب وأم وابن ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله واحد لا إلا هو وأن هذا الإله كائن في ثلاثة أقانيم هم الآب والابن والروح القدس.

ولكي تظهر حقيقة ما ذكرناه يحسن بنا أن نشير باختصار إلى ديانة الهنود. قالت أوبينكهات التي يُقال أنها ترجمة الأوبانشاد السنسكرتية أن الفيدا (أي الأشعار الهندية المقدسة) تصرح بوجود إله واحد وأن هذا الإله أعلن نفسه للعالم في ثلاثة آلهة هي إله برهما ووشنو وسيفا وأن برهما هو أصل هذه الآلهة وخالق جميع الأشياء ووشنو هو حافظ كيانها، أما سيفا فهو مخربها ولكن حقيقة هذا الكتاب أنه أُلف لأجل داراشوكوه Dara Shekuh أحد أمراء الإسلام ابن الامبراطور شاه جاهان Shah Jahan سنة ١٦٥٦ م أو ١٠٦٧ هـ. وأما دعواهم بأن هذا الكتاب ترجمة الأوبانشاد هو كذب محض والحقيقة التي لا مراء فيها أنه كتب لكي يظهر للإسلام اعتقادات الهندوس وهو ظاهر من العبارات الإسلامية المدونة في هذا الكتاب والنتيجة أن التعاليم التي حواها هذا الكتاب لا هي ترجمة الأوباناشاد ولا ترجمة فيدا بل هي عبارة عن تعاليم حديثة جداً قامت بين بعض قبائل الهنود وكان الفيدا في ذلك الحين يصرح بوجود ثلاثة وثلاثين إلهاً على أقل تقدير وذلك علاوة على بعض الآلاهات أما الديانة التي قامت فيهم بعد هذا الزمن كانت تعلم عن ثلاثة آلهة مستقلة تمام الاستقلال هي برهما ووشنو وسيفا. وكان كل من هذه الآلهة يمثل آلهة كثيرة العدد لبعضها صفات الشر تصحبها زوجة واحدة على الأقل ومجموع هذه الآلهة يُسمى Trimurti (أو الإله المثلث) وهذا الاسم لم يوجد إلا في السنسكريتية المتأخرة ويقال أنه يوجد في جزيرة اليفانتا Elephanta قرب بمباي هيكل Cave Temple فيه تمثال عظيم له ثلاثة رؤوس ويُظن أن هذه الصورة تمثل هذا الإله المثلث Trimurti ولكن يقول بعضهم أن هذه الصورة تمثل الإله سيفا الذي له ثلاثة رؤوس وهذه الثلاثة آلهة مركبة في بعضها لاعتقاد فلاسفة الهند أن كل الأشياء واحد فقط وكان أساس دينهم حلول الله في كل شيء (أي وحدة الكائنات) وهذا يناقض الإيمان بالله الواحد.

ظن البعض أنه من الممكن استخراج تعليم من ديانة قدماء المصريين يشابه تعليم الثالوث في الوحدة ولكنهم بعد أن طالعوا ودرسوا الكتابات الهيروغليفية وجدوا أنه قد خاب ظنهم إذ أن المصريين كانوا يعبدون آلهة كثيرة ولم تكن عبادتهم قاصرة على الحيوانات فقط وكانوا يعتقدون أن كل هذه الآلهة تفرعت من أصلين هما الأرض أبوها والجو أمها- أما أشهر آلهتهم فهي تسعة ولكنهم بعد زمن وجدوا أن هذه الآلهة زادت عن اللازم فاختاروا لأنفسهم منها ثلاثة آلهة عظيمة في ثلاثة أماكن مختلفة ففي هيليوبوليس كان معرفاً بتوم Tum ورع Ra وحورم خوتي Horem Khuti وهذه الثلاثة تمثل الشمس عند غروبها والشمس وقت النهار والشمس عند شروقها فكانوا يعبدون شمساً واحدة في ثلاثة أشكال مختلفة وفي ثيبا كان عمون Amon وموت Mut وبتح أوخوفو Ptah or Khonsu وهنا نجد أيضاً ثلاثة آلهة وهي الأب والأم والابن كما الحال في أوزيريس وإزيس وحورس ويحكي عن هؤلاء الثلاثة الآلهة خرافة مشهورة لكنها بلا فائدة.

وكان المصريون يعتقدون أن آلهتهم لها جسم هيولي فمن أناشيدهم التي كانت تُنشد للإله أوزيريس قولهم "أن جسمك من معدن جميل لامع ورأسك زرقاء كزرقة السماء وجمال وبهاء الفيروز يكللانك" وربما كان هذا الإله يمثل الشمس أيضاً والآن قد ظهر أن للمصريين آلهة كثيرة كل منها قائم بذاته فمن الخطأ إذاً أن نقول بوجود توحيد في ديانة المصريين القديمة وجود تعليم يشابه تعليم الثالوث في الديانة المسيحية ولا يوجد ما يشابه أيضاً في ديانة عبدة (لاما) في تبيت. قيل أن بعض فلاسفة اليونان وفلاسفة الأمم القديمة الأخرى توصلوا إلى الإيمان بعقيدة "الثالوث في الوحدانية" وكان من بين هؤلاء أفلاطون الفيلسوف اليوناني المشهور الذي عاش قبل المسيح بأربعمائة سنة، ففي كتبه شيء كثير من الحكمة يستحق الاعتبار ولكنا لم نر له معرفة صريحة بوحدة الله ولم يذكر شيئاً عن تعليم الثالوث وقد بين في كتابه المسمى "طيميوس" أن الخالق الذي يسميه صانع أو أب هذا الكون خلق العالم من المادة التي كانت فيه قبلاً ونظمه ورتبه وجعل كل الأشياء فيه طبقاً لأنموذج كائن من قبل لا يتغير وبما أن العالم حي لوجود العقل والنفس فيه فيسميه أفلاطون "إلهاً ثانياً" وهنا أظهر فكراً سامياً أفضل من قول الوثنيين بتعدد الآلهة ولكنه يصعُب جداً أن نقول أنه كان يؤمن بإله واحد لأنه كان يسلم بوجود آلهة الوثنيين ولم يظهر أنه كان يؤمن بخالق ذي ذاتية وكان يعتقد بقول وثني اليونان أن الآلهة هي أبناء السموات والأرض وكان يقول أن الخالق يعتبرها آلهة الآلهة. وفي الغالب أنه من وجهة لم يعبد هذه الآلهة ومن الوجهة الأخرى لم يعتبر الخالق مالك وحافظ العالم الذي خلقه لأنه قال بعدئذ أن الخالق بعد أن أرسل الآلهة رجع إلى حالة السكينة التي كان عليها قبل الخليقة وأن عقل ونفس العالم يشبهان تماماً عقل ونفس الإنسان وأن السيارات لا شك أنها ذات نفس حية لما لها من الحركة الدائمة.

كان يوجد في الإسكندرية فيلسوف يهودي اسمه فيلون وكانت آراؤه التي اقتبسها من حكمة المصريين متفقة بعض الاتفاق مع آراء أفلاطون وقد زعم بعضهم أن هذا الفيلسوف علم تعليم الثالوث ولكن ليس الأمر كذلك، بل كان يؤمن بوحدة الله لأنه كان يهودياً وتعلم ذلك من الكتاب المقدس وبما أنه كان شاعراً باطنياً، فكان يستعمل عبارات مجازية لا حقيقية فيشرك بالله بعض صفاته أو أفعاله وبهذه الكيفية أورد التثليث ثم اقتداء بالثلاثة آلة المصرية أوزيريس وازيس وحورس التي كان يريد شرحها قال أن الخالق كأب والمعرفة كأم ومنهما خرج الكون كابن وتكلم عن الله كأنه قائم بين قواته المبدعة وقواته الحاكمة وأنه سيظهر في زمن ما واحداً وفي زمن آخر ثلاثة ولكن هذه الكتابة التصويرية الخيالية لا تعني وجود ثلاثة أقانيم في إله واحد، فشتان الفرق بينهما. ولما كان يذكر عبارة "كلمة الله" كان يعني بها تدبيراً إلهياً به خلق الله العالم أو العلاقة الرمزية التي بها يتحد جميع أجزاء الكون معاً وفي أقواله الصوفية يشبه عقل الله بابنه

البكر ولكن لا يفهم من قرائن الأحوال ومن سياق كلامه أنه يقصد بذلك أن العقل أقنوم في الوحدة الإلهية ولم يذكر فيلون أن الروح القدس أقنوم وعلى كل حال فقد ختم كلامه بأن الجمع في بعض الأمور لا يخالف الوحدة.

وقد جرى بعض فلاسفة المسلمين مجرى فيلون في ما يختص بهذا الموضوع ولكن كل ما كتبوه في الغالب كان نتيجة تعمق في الفكر تعمقاً أبعدهم عن الحق أو عدم معرفة تعليم الثالوث في الديانة المسيحية معرفة تامة. ولما كان عندهم من التشامخ والكبر وما فيهم من التعصب الذي منعهم عن قبول تعليم الله بكل احترام وخضوع رأوا أنهم مضطرون أن يسلموا بأن ذات الله ليست واحدة محضة بل فيها بعض التعدد وقد جاء ذلك صريحاً في كتبهم.

ففي كتاب الاصطلاحات، قال الكاشاني عن ذات الله "التجلي الأول هو التجلي الذاتي وه تجلي الذات وحدها لذاتها وهي الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم إذ أن الذات التي هي الوجود الحق المحض ووحدته عينه لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلا العدم المطلق- التجلي الثاني هو الذي يظهر به أعيان الممكنات الثابتة التي هي شيوع الذات لذاته وهو التعين الأول بصفته العالمية القابلية" (باب تفصيل الذات).

لا بد من اعتراضات كثيرة ضد نظرية الصوفيين هذه ولكن أقوالهم أظهرت أنه لو كانت وحدة الله مجردة عن الصفات التعددية فألوهيته تعجز عن إعلان نفسها فالنتيجة المنطقية لتوحيد كهذا هي اللا أدرية المطلقة (أي أن الإنسان لا يعرف عن الله وعن الكائنات أدنى المعرفة) ومن آرائهم في خليقة الكون أنه حصل تغيير في الذات الإلهية الغير متغيرة. وطبقاً لهذا الزعم الفاسد تكون الكائنات ليست عمل يدي الله بل هي منبثقة منه وهذا هو الاعتقاد بألوهية الكون لأنه يفيد أن جميع الكائنات مشتركة في الطبيعة الإلهية. وهذا التجديف هو نتيجة السعي لرفض تعليم الكتاب المقدس عن الثالوث الأقدس ولذلك وجد الصوفيون أنهم مضطرون بالتسليم بالتعدد في الذات الإلهية ولكن هذا الجمع يفسد الوحدة ويقود إلى الإيمان بتعدد الآلهة المستقلين الذي هو ضد تعليم الثالوث الأقدس على خط مستقيم.

كتب أحد علماء الإسلام في كتابه (الاصطلاحات المستعملة في علم الفقه) "التعين الأول يعنون به الوحدة التي انتشت عنها الأحدية والواحدية وهي (أي الواحدة) أول رتب الذات وأول اعتباراتها وهي القابلية الأولى يكون نسبة الظهور والبطون الياء على الواو [1] – يعتبر بالتعين الأول عن النسبة العلمية الذاتية باعتبار تمييزها عن الذات الامتياز النسبي لا الحقيقي. فإما أن

---

[1] **لم نفهم مراد صاحب الاصطلاحات هنا فالسفسطة والشبهات في جانب من يا ترى؟**

الوحدة هي أول التعينات للذات من جهة أنه لا يصح أن يعقل وراءها إلا الغيب والاطلاق- التعيين الثاني هي رتبة الذات وهي الرتبة التي تظهر فيها الأشياء ظهوراً وتمييزاً علمياً ولهذا تسمى هذه الحضرة حضرة المعاني- وهذا التعيين الثاني هو صورة التعيين الأول وذلك أنه لما وجب انتقاء الكثرة في التعين الأول وكذا التمييز والغيرية لكون التعين الأول هو حقيقة الوحدة الحقيقة النافية جميع ذلك مع أنها (أعني الوحدة) لكونها متضمنة لنسب الواحدية واعتباراتها التي لا تتناهى تعينات أبديتها لزم من ذلك أن يكون التعين القابل الكثرة (التي هي صورة ظلالات الاعتبارات المندرجة في الوحدة) تعيناً ثانياً لها فذلك هو التعين الثاني لا محالة- فجميع الأسماء الإلهية المنتهى التأثير والفعال وجميع الشئون والاعتبارات مندرجة في الوحدة فجملة وحدانية [1]- فإنما تصير مفعولة متميزة في هذا التعين الثاني الذي يُسمى بالمرتبة الثانية وتسمى هذه المرتبة بمرتبة الألوهية وبالنفس الرحماني وبعالم المعاني وبحضرة الارتسام وبحضرة العلم الأزلي وبالحضرة العمائية وبحقيقة الإنسانية الكمالية وبحضرة الأماكن- فكل ذلك إنما هذا التجلي حسب الاعتبارات الثابتة فيه مع توحد عينه.

وأما تسميته بالمرتبة الثانية فلكون صورة التعين الأول الذي هو مرتبته الذات الأقدس- وإنما تسميته بمرتبة الألوهية فذلك لما عرفته من كون التجلي الثاني الظاهرية وفيه هو أصل جميع الأسماء الإلهية التي جمعها الاسم الجامع وهو اسم الله تعالى ولهذا يسمى هذا التجلي الكائن في هذه المرتبة باسم الله ولا إله إلا الله لرجوع جميع العابدين إلى هذه المرتبة المتجلي فيها وكونها مقصدهم الذي تسكن إليه نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم" (انتهى).

وقد قال الجيلاني في شرحه لجلشان الراز المحمودي "أصبح جوهر الأحدية في حاجة إلى التعين الأول الذي هو الخليج الفاصل بين الوجوب والإمكان صارت الأحدية بمناسبة هذه الأحوال أسماء مقدسة لا شبيه لها (وهم يسمون التعين العقل والقلم والروح الأعظم) وأما كثرة الأسماء فهو راجع لتعدد الصفات وقد ثبت مصدر كل الموجودات المنظورة وغير المنظورة (التي سموها الوجودين) في صورة هذا التعين الأول بواسطة تفاوت وامتياز علم الله وفي هذا التجلي ظهرت النفس الرحيمة التي معناها ظهور الحقيقة في صورة الموجودات وهذا التجلي نفسه سبب وجود جميع الكائنات والمرتبة الأولى التي قبلت هذه النعمة هي التعين الأول" وقد ذكر الشاعر جامي في كتابه "تحفة الأحرار" ما يفيد هذا المعنى أيضاً.

---

[1] لعل مراده (لو عرف كيفية تفهيم البسطاء مثلنا) هو الكثرة في الوحدة

ويمكنا هنا أن نذكر كثيراً من الأقوال المأخوذة من الكتب العربية والفارسية ولكن ظاهر مما جئنا به أن بعض عقلاء الإسلام وعلمائهم وأئمتهم يسلمون بوجود تعدد في وحدة الذات الإلهية وتتضح لنا أيضاً هذه النتيجة:

أولاً – أن المؤلفين المقتبس عنهم يميزون الذات الفائقة المطلقة الغير مدركة في كلا التجلي الأول والتجلي الثاني وهم معترفون بأن هذه الذات لا يمكن إدراكها بالفكر والتأمل.

ثانياً – أنهم يميزون التجلي الأول أو التعين الأول عن هذه الذات الغير مدركة بطريقة تجعل الذات ظاهرة للذات عينها ويفرقون بين إدراك الذات وبين الذات كما قال جامي. وخلاصة ما تقدم حسب قول الجيلاني أن التعين الأول يسمى الإدراك العام وقد قال الكاشاني أيضاً في هذا المقام أن التجلي الأول هو الحضرة الإلهية أو الحضرة الأحدية.

ثالثاً – قد ميزوا بين التجلي الثاني أو التعين الثاني وبين التجلي الأول بأن قالوا أن أعيان الممكنات الثابتة (أي أصول وحقائق الأشياء المخبية في ذات الله) تظهر فقط في معرفة الله ومعنى ذلك أن الله لما أراد أن يخلق الأشياء ادخلها لأول مرة في حيز علمه وأرادته. فالتجلي إذاً معناه قوة الفعل وإرادة الذات كما أن معنى التجلي الأول هو المعرفة الايدية للذات هكذا قد رأينا بعض علماء المسلمين سعوا في توضيح الذات المقدسة بكونها نوعاً من تثليب لأنهم يفصلون الذات عن العلم والعلم عن قوة الإرادة والفعل ويقولون أن الله لا يعرف إلا من التجلي الأول أو الثاني وبهذا التجلي الثاني ينال عبدة الله راحة وسلاماً في قلوبهم. والحقيقة أن كل هذه النظريات الفلسفية بعيدة عن الإسلام نفسه وإنما أفسح لها مفكرو الإسلام مجالاً لعلمهم أن الإيمان بوحدة الله المطلقة المجردة لا يبرهن على خلق الله للعالم بل ينافي عمل الله ويبطل تنزيهه عز وجل وإذ لم يكن لأولئك المفكرين رغبة لتعلم كلمة الله عمدوا إلى الاسترشاد في فلاسفة الوثنيين الذين لم يتوصلوا إلى معرفة الله الحقة. ولنأت هنا بمثالين لبيان وجه الشبة بين النظريات الإسلامية السالف ذكرها والنظريات اليونانية قديماً، فقد قال ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني "إن أسمى مظاهر الفلسفة أو علم اللاهوت هي التي تبحث عن ذلك الكائن الأبدي الغير متغير المنزه ومما لا شك فيه أنه يوجد كائن أبدي مبدع كل حركة لا يتغير بل هو مصدر كل تغيير وهو قوة أبدية ضرورية وعليه تتوقف السماء والطبيعة وحيث أن الله منبع الخير ومستقل بذاته، فينشغل بالتأمل لأن هذا هو أسمى مظهر من مظاهر الحياة. وحيث لا يوجد من هو أحسن منه فهو يتأمل في

نفسه أيضاً." وتكلم بن هلال الفيلسوف السوري الأصل وكان يكتب باليونانية ما يوافق أقوال ارسطاطاليس[1].

وللفلاسفة الهنود القدماء آراء أخرى عن الذات الإلهية وعن كيفية تكوين العالم. وقد اختلفت آراؤهم عن علماء المسلمين لأن هؤلاء اعتقدوا بوجود إله ذاتي ولكن إذا أمعنا النظر في زعمهم أن الوجود الأصلي يجب اعتباره كوحدة مجردة وأن التعدد نشأ عن الوحدة شيئاً فشيئاً فنجد مشابهة ليست بقليلة بين أقوال فلاسفة الهند واليونان وبين علماء الإسلام وهذا يتضح مما يأتي:

قيل في الريج فيبرا [2] "ذلك الشيء الواحد تنفس بدون نسمة وبغيره لم يكن شيء."

وفي الأبانشاد قيل "في البدء لم يكن إلا الكائن الوحيد لا ثاني له فتفكر وقال: دعني أصير كثيرين دعني أنشأ فعند ذلك أخرج ناراً (اهـ) ثم يقول أنه بهذه الكيفية صدر الماء من النار وكذلك صدرت الأرض من الماء وهكذا صار الواحد كثيراً.

(يقول المؤلف) أراد جميع هؤلاء الفلاسفة أن يوضحوا ذات الله ووجود الكون بطرق مختلفة وأشكال متنوعة ولكنها كلها تقريباً على نمط واحد وكلهم أرادوا أن يعلموا ما لا يقدرون على فهمه وكانت معرفتهم ناقصة بل هي الجهل بعينه وكانوا كلهم يتخبطون في ظلمات جهلهم وكان مثلهم مثل الثلاثة عميان الذين وصف كل منهم الفيل بقدر ما لمست يده فصارت حكاياتهم مضحكة وقد طمست بصيرة جميع الناس من حيث معرفة الله سبحانه وتعالى ولو لم يعلن الله لهم نفسه ولو لم يفتح أعين أرواحهم ليروا نور العالم يستحيل عليهم أن يدركوا الآلهة الغير منظورة- نعتقد نحن المسيحيين وكذا أخواتنا المسلمين أن الله أرسل كلامه إعلاناً لنا فمن الحكمة أن نقبل الحقائق المختصة بذات الله التي يكلمنا عنها الكتاب المقدس ولا يجب أن نسمح للتعصب أن يعمي قلوبنا ويطمس أبصارنا فنبتعد عن النور ونستبدل فلسفة الإنسان بإعلان الله. إن الله قد أعلن لنا كتابة لأن الإنسان عاجز عن إدراكه ومعرفته "ألم يجهل الله حكمة هذا العالم لأن إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة فأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله" (١كورنثوس ١: ٢٠-٢٤). فتعليم الثالوث الأقدس في الوحدة الإلهية هو بلا شك سر ولكن بمقارنته مع سفسطة الفلاسفة نجده أسهل بكثير منها، نعم وربما يكون في تعاليم الكتاب المختصة بذات الله أمور

---

[1] هذا كلام ارسطو فقط فلا يفهم القارئ أننا نوافق وجوباً على كل أقواله.

[2] كتاب مقدس عند الهندوس. لاحظ التوحيد حيث كنا ننتظر التكثير لأن هؤلاء عابدو أصنام

فوق عقولنا ولكنها ليست مناقضة للعقل أبداً كالنظريات الفلسفية التي نجدها في كتب الفلاسفة. ومن جهة أخرى هل تعليم الكتاب المقدس عن الثالوث في الوحدة يقودنا إلى الاعتقاد بوحدة الكائنات أو يقودنا إلى مذهب "اللاأدرية" كما تفعل الآراء البشرية التي تجعل عبادة الله سخافة أمام أعيننا لأنه منَ من الناس يقدر أن يزين الكون كما زينه الله أو يعبد إلهاً مجهولاً؟ إن عقيدة الحلول تضرب بعصا من حديد على التمييز بين الخير والشر وكذا عقيدة نكران الله وبذلك تمحي الآداب. إن تعليم الثالوث يقود الإنسان إلى معرفة الله بواسطة كلامه وروحه القدوس ويرشده إلى الحق فيكره الخطية ويرغب في القداسة ويعبد الله بالروح والحق ولا يجعلنا بعد ذلك أن نعتقد في القضاء والقدر، بل نعرف أن كل شيء بمشيئة معمولاً بمشيئة الإله الكلي الحكمة والخير والقداسة والمحبة، الآب السماوي. إذاً فالحكمة المستمدة من فوق هي الحكمة التي ترشدنا لقبول ما علمنا الله إياه عن ذاته المقدسة والتي تجعلنا ننبذ النظريات الفلسفية الأرضية التي لا أساس لها والتي لا يقبلها لا العقل ولا الضمير.

من هنا يتضح لحضرات القراء أنه لم ينجح فيلسوف واحد بما له من الذكاء وقوة الإدراك في حل ذلك السر العظيم المختص بذات الله تعالى والجميع قد خابت آمالهم ومجهوداتهم في الوصول إلى معرفة الله لأن المحدود لا يمكنه أبداً أن يدرك الغير المحدود ولا يمكن للإنسان أن يتعلم عن ذات الله إلا ما أعلنه الله في كتابه وفي ذلك الذي هو كلمة الله المتجسد وكما أن أشعة الشمس لا تحتاج إلى مشعل من نار يزيد من نورها، كذلك تعاليم الله وكلامه لا يحتاج إلى نظريات الفلاسفة وآرائهم والسبب الذي حداً بنا إلى ذكر بعض أقوال الفلاسفة هو لكي نظهر أنهم شعروا أن الإيمان بوحدة الله المحضة مخالف للعقل فاضطروا أن يسلموا بوجود الكثرة في الذات الإلهية وليفهم القراء الكرام أن تعليم العهد الجديد لا يخالف العقل ولكنه ضروري لإرواء ظمأه واشتياقه للمعرفة. والآن لا يجب أن يبقى شك لدى كل مؤمن عاقل يدرس الكتاب بفكر خلو من التعصب في الإيمان بحقيقة تعليم الثالوث الأقدس خصوصاً إذا كنا نعتبر هذا التعليم واحداً من التعاليم الكثيرة الغير المدركة المعلنة في الكتاب المقدس. إن كلام الله يظهر لنا أن الله واحد وأن وحدة الذات الإلهية كائنة في ثلاثة أقانيم متحدة في الذات والقوة والأبدية وهذه الثلاثة هم الآب والابن والروح القدس والمسيحيون بقبولهم هذا التعليم يؤمنون بأن المسيح ابن الله المخلص الوحيد والوسيط الواحد هو واحد مع الآب وأيضاً يقبلون تعاليم الأنبياء والرسل الذين تكلموا بقوة الروح القدس ويعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويخدمونه وينبذون التعاليم القائلة بوحدة الكائنات وبمذهب اللاادرية ويكونون بعيدين عن اليأس الذي يعمي قلوب وحياة أولئك الذين يعتقدون في القضاء والقدر ويثقون بالآب السماوي المعلن في يسوع المسيح بل وأكثر من ذلك، يتقدمون في معرفة الله العلي وذاته مسبب الأسباب ويسيرون في هذه الحياة بصبر وإيمان حتى

تنتهي أيام حياتهم القصيرة هنا على الأرض قائلين مع الرسول "لأننا نعلم بعض العلم... فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (١كورنثوس ١٣: ٩و١٢). إن تعليم الثالوث الأقدس في الوحدة يجعلنا نؤمن بتجسد كلمة الله الذي هو واحد مع الآب ولو لم يكن ابن الله قد تجسد لكان الله قد تركنا نحتمل الآلام والأحزان والموت كالآلهة التي تكلم عنها ابيكورس الفيلسوف الوثني. نعم وحتى الإسلام مائل إلى ذلك أيضاً كما يظهر من الحديث المنسوب لله في قوله "ولا أبالي". أما المسيحيون فلا ييأسون أبداً ما دام الإنجيل الذي يتكلم عن سر الثالوث في الوحدة يظهر لنا محبة الله في كلمات انبه التي تفوه بها المسيح إذ قال "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية."

الفصل الثالث

أهمية تعليم الثالوث الأقدس في معرفة الله ونوال الخلاص

بعد كل ما ذكرناه في هذا الكتاب توضيحاً لتعليم الثالوث وإثباته، ربما يسأل القارئ الكريم "هل من الضروري معرفة هذه العقيدة الغامضة وقبولها؟ وهل ينشأ ضرر لو افتكرت في الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء بأي طريقة كانت ما دمت أسلم بوجوده وأعبده عبادة توافق العقل والإدراك؟"

أيها الأخ العزيز، هل تظن أنه سيان عندك أن تعبد الله بحسب ما هو معلن في كلامه المقدس أو أن تعبده بحسب تصورك وإدراكك؟ إن ذلك الإنسان الذي يتصور الله كما تصوره له أفكاره لابد وأن يكون عاجزاً عن معرفة الإله الحقيقي. وكل إنسان يصّور الله في مخيلته كما يمليه عليه عقله وأوهامه، ألا يعتبر كعابد الأوثان؟ ألا يكون ذلك الإنسان قد ضل عن عبادة الإله الحقيقي؟ يقول المثل السائر بين مسلمي مصر "كل ما خطر في بالك فهو حالك والله بخلاف ذلك." ومعنى ذلك أنه مستحيل على الإنسان أن يفتكر فكراً صحيحاً عن الله وأن الصورة التي يتصورها الإنسان في مخيلته عن الله ما هي إلا صورة من نفسه وليست بصورة الله أبداً ولو صدق هذا المثل (وهو الصواب لأن الوثنيين يعبدون آلهة شريرة كأنفسهم) يتضح أمامنا أن كل إنسان يعبد الله بغير الطريقة التي بينها الله في كتابه المقدس فهو عابد أوثان. فعلى كل من يرغب في معرفة الله الحي الحقيقي أن يعبده ويخدمه ويفتكر فيه حسب تعاليمه المختصة بذاته ومشيئته التي أعلنها لنا في كتابه وإلا فلا نعمة ولا بركة من هذه المعرفة ولا تكون هذه الخدمة

غير مقبولة أمام الله ولكن رب سائل يقول "ما الفائدة التي تعود على الإنسان من هذا التعليم؟" ورداً على ذلك نقول أن الله أعلن في كتابه المقدس نفسه ووجوده بحسب هذا التعليم وفي هذا كفاية. لأن كل عاقل يفتش عن الحق يعرف تمام المعرفة أن الله الحكيم قد أحسن في كل ما عمل وعلم وقد أعلن لنا كل ما هو نافع ومفيد وأن كلامه وأعماله هي مظاهر الحكمة السامية العالية. نعم وإن كان الإنسان الواحد لا يقدر أن يدرك هذه الحكمة كلها ولا يمكن لأحد من الناس أن يدرك عمق سر الله ولكن من يدرس الكتاب المقدس درساً وافياً ويعرف تعاليمه معرفة تامة يتأكد بعد ذلك أن في هذا التعليم تعليم الثالوث في الوحدة معرفة الله ونوال الخلاص وإن كان الإيمان لا يكون بالمعرفة إلا أن معرفة ما أعلنه لنا الله ضروري لإرشادنا إلى هذا الإيمان الصحيح لكي نجعل كل اعتمادنا واتكالنا على المخلص الوحيد معترفين به أنه الطريق والحق والحياة وكل هذا مستحيل ما لم نقبل تعليم الثالوث في الوحدة ولزيادة إيضاح هذا السؤال نقول:

أولاً- إن فائدة وأهمية معرفة تعليم الثالوث وقبوله ظاهرة مما قد بيناه لأنه بغير ذلك لا يمكن الحصول على معرفة ذات الله التي بواسطتها نجد السلام والخلاص وفي بشارة الإنجيل وأن نسير في طريق الخلاص المعلنة فيه ويتضح ذلك مما قاله المسيح "وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (متى ١١: ٢٧). وقال أيضاً "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا ١٤: ٦). وقال أيضاً "هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً" (١يوحنا ٢: ٢٢و٢٣). وهذا قليل من كثير من آيات العهد الجديد التي لا يفهمها كل من يجهل تعليم الثالوث. وهنا نرى يوحنا الرسول بواسطة إعلان الله يبين أن إنكار الآب والابن أي بنوة المسيح الإلهية إنما هو بدعة الدجال وهذه الآية وحدها التي ذكرها الرسول بولس تظهر أهمية هذا التعليم وتحذر كل إنسان خائف الله من أن يرفض تعليم الثالوث لئلا يكون من ضمن فئة أولئك الدجالين الذين سيقع عليهم عقاب الرب يسوع المسيح عند مجيئه الثاني "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وتنوح عليه جميع قبائل الأرض" (رؤيا ١: ٧) "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١كورنثوس ١٥: ٢٥).

ثانياً- إن معرفة قداسة الله وعدله ورحمته ومحبته تتفق مع الإيمان بتعليم الثالوث اتفاقً تاماً حتى أن كل من يرفض هذا التعليم يرفض كل الصفات التي لله. فإخواننا المسلمون وإن كانوا يقولون أن الله قدوس وعادل رحيم ومحب إلى غير ذلك من صفات الكمال ولكنهم لا يجدونها إلا مجرد ألفاظ يظهرون بها ما لله من القوة والعظمة والتأمل في هذه الصفات ينسدل وراء حجاب الفكر أن الله مطلق وغير محدود. قال القرآن "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من

يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون" (سورة النحل آية ٩٥) وقال أيضاً "إن الله على كل شيء قدير" (سورة البقرة آية ١٩). ولكن الإيمان بالله القدير فقط لا يعطي الإنسان خلاصاً أبدياً لأنك "أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يعقوب ٢: ١٩). نعم أن الإيمان بقوة الله يرعب قلب الإنسان ولكن لا يربطه بصلة المحبة مع الله ولكن هي محبة الله التي تلين قلب الإنسان الحجري فيختم بالروح القدس ويتجدد "حسب صورة خالقه" وفاديه القدوس (كورنثوس ٣: ١). وهذا التغير نسميه نحن معشر المسيحيين بالولادة الثانية وقد تكلم عنها المسيح في الإنجيل قائلاً "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣: ٣). وهذه الولادة الجديدة هي الخلاص من محبة الخطية ومن قوتها، الخلاص من خدمة العالم والجسد والشيطان. إن إيمانك بحقيقة الثالوث فقط لا يمكن أن يغيرك كما قلنا. إن المعرفة الحقة ليست كل الإيمان ولكن من أهم الفوائد الناجمة عن الإيمان الصادق بما يعلمنا إياه الكتاب المقدس عن تعليم الثالوث هي أن يتأكد المؤمن بالمسيح من قداسة الله ومحبته ورحمته وأيضاً عدله وحكمته وقدرته ويكون بعدئذ قادراً ومستعداً أن يغير قلبه وطباعه كما بيَّنا. وما نوال الخلاص إلا بالإيمان بعقيدة الثالوث ولكي يخلص الإنسان من خطاياه يجب أن يتأكد أن الله طاهر وقدوس وقد كره وسيكره كل نجاسة وشر وأن غضبه ولعنته على الخطية سرية كانت أو علنية وما لم تنسكب نعمة الله على الخطاة وما لم يتغيروا أو يتطهروا بواسطة دم الحمل الذي ذبح منذ تأسيس العالم فسيهلكون هلاكاً أبدياً.

إن تعليم الثالوث لا يعلمنا فقط أن قداسة الله غير محدودة ولكنه يعلمنا أيضاً أن محبته ورحمته لا حد لهما. ونؤمن أن الله لا يحب هلاك الإنسان بل يرغب في خلاصه وسعادته الأبدية وهو يعمل دواماً كل ما هو صالح لأن صفاته الصلاح والرحمة والعدل ويحب أن يقود الجميع إلى السعادة والقداسة الأبدية الحقة. وأنه وإن كان عقل الإنسان وضميره يشهدان بعدل الله ورحمته ومحبته ولطفه وقد أعلنت صفاته الإلهية في أعمال الطبيعة كتغيير الفصول مثلاً وغير ذلك إلا أننا نلاحظ في هذا العالم أن الظلم يسود لوقت ما والشرير يعيش سعيداً مغبوطاً والصالح التقي يعيش فقيراً بائساً متألماً محتقراً ومن لا يعرف عن كتاب الله شيئاً وينظر إلى أحوال هذا العالم بمرأى العين فقط يشك في عدل ورحمة الله بل كثيراً ما يقوده جهله إلى القول بعدم اهتمام الخالق بالإنسان سَعِد أم شقي وأن الله لا يفرق بين الصالح والطالح. ولكن إذ قد أعلن الله الرحيم نفسه بواسطة الكلمة الأبدية يسوع المسيح وبواسطة روحه القدوس مكلماً أنبياء ومظهراً لهم إرادته وأوامره مبيناً لنا نتائج الخطية المفزعة ناصحاً إيانا بالابتعاد عن الشر والتحلي بالبر يكون الله قد أظهر لنا رحمته وعدله في الكتاب المقدس. ومن يتصفح هذا الكتاب يجد أن الله لا يقبل الخاطئ والشرير وأن كان لا يعاقبه في هذا العالم الحاضر على شره الذي فعل فلابد

وأن يعاقبه في العالم الآتي وفوق كل ذلك فقد أعلن الله محبته في ابنه يسوع المسيح الذي صلب ومات أي البار لأجل الخاطئ ولو كان مخلصنا المسيح إنساناً مخلوقاً كباقي البشر لأظهرت آلامه وموته حسناته فقط وليس حسنات الله. وهنا كان يمكن أن يظن البعض سوءاً في الله لأنه كيف يتألم ويموت على الصليب أشرف الناس وأحسنهم حباً في خلاص كل المؤمنين به ولكن لا، فتعليم الثالوث يعلمنا "أن الله المسيح مصالحاً العالم في نفسه" فلم تقع الآلام على مخلوق برئ ولكنها وقعت على الله في شخص كلمته الأبدية هذا سر عجيب عظيم. فإنه قد يمكن للإنسان أن يضحي بنفسه لأجل منفعة الآخرين ألا يكون ذلك بالحري في الله ويكون هو مثال لهذه الصفات المقدسة. فتعليم الثالوث يعلمنا إمكانية ذلك والكتاب المقدس يعلمنا أنه ما دام جميع البشر خطاة لا يمكنهم أن يتطهروا من نجاسات قلوبهم وهم عاجزون عن أن يخلصوا أنفسهم من سلاسل الخطية التي هم مقيدون بها ولا من الهلاك الأبدي والتعاسة الأبدية ولو كان الله قد قبل الخاطئ النجس لكان ذلك مناقضاً لما له من صفات العدل والقداسة. ولكن أرادت محبته أن لا يترك الإنسان غريقا في بحار الخطية فتكون أخرته الموت الأبدي فجاء كلمة الله الأبدي الذي هو واحد مع أبيه إلى هذا العالم واتخذ لنفسه طبيعة بشرية وتجسد في شخص يسوع المسيح وقد خضع للإرادة الإلهية وتحمل الصلب والموت. هو البار تحمل لأجل الخطاة فاكتسب محبة المؤمنين لكي يتوبوا عن خطاياهم التي هي سبب آلامه وأعطاهم غفراناً بلا ثمن وإن كانوا هم على الأرض غير معتوقين من الأتعاب ومن الموت إلا أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده" (روميه ٨: ٢٨). وهذه الأتعاب الوقتية والآلام والاضطهادات التي تقع على المسيحيين من أعداء الله ما هي إلا نصر وغلبة تقربهم أكثر إلى الله حيث يجدون الراحة والسلام وإذ قد تحصلوا على الولادة الثانية ورجعوا عن طريق الشيطان فصاروا أبناء لله فقد خلصوا من ذلك الهلاك الأبدي الأخير ومن الظلمة الخارجية التي كانت نصيبهم في اليوم الأخير (متى ٢٥: ٤١و٤٦) وأصبحوا ورثة مع الله بواسطة نعمته وقداسته وبركاته التي لا تحد وحق لهم إن يسكنوا في ذلك المنزل السماوي الذي لا يدخله شيء دنس (رؤيا ٢١: ٢٦). قال يوحنا المعمدان الذي كان يعرف أن يسوع المسيح هو مخلص العالم "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩). وهنا عنى يوحنا بذلك أن المسيح هو الذبيحة الحقيقية لأجل خطايا البشر الذي وضع نفسه الثمينة فدية لأجل الخطاة لكي يتوبوا ويتطهروا من خطاياهم. قال أيضاً يوحنا الرسول في رسالته "يا أولادي أكتب لكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (٢: ١و٢). وفي أفسس ١: ٥-٧ يقول بولس الرسول "إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته".

والآن لا توجد إلا طريقة واحدة للخلاص من الخطية ولا يمكن للإنسان أن يكون وارثاً للخلاص الأبدي متمتعاً بالسعادة الكاملة الطاهرة إلا بطريقة واحدة وهذه الطريقة قد أعلنها الله في كتابه لتكون إرشاداً لهم للخلاص كما قال المسيح عن نفسه "أنا هو الطريق والحق والحياة" ولأن المسيح كان بلا خطية وكانت له الإنسانية الكاملة والألوهية الكاملة أيضاً بل هو أحسن من كل الخلائق وأسمى من السموات "حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١بطرس ٢: ٢٤). وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا (أشعياء ٥٣: ٥). وهنا تظهر فظاعة خطايانا التي كانت سببا في صلب الرب يسوع المسيح، فمحبة الله ورحمته الغير محدودتين ظهرتا في تجسد المسيح في حياته وفي موته كما يقول يوحنا الرسول في رسالته (٤: ٩ و ١٠) " فبهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل انه هو احبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" وقال المسيح " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦) فلا يقدر أحد من الناس أن يخلّص نفسه من الخطية وجهنم ولكن بما أن عدل الله يقضي بالكفارة وسفك الدم لغفران الخطية فلهذا السبب عينه تجسد كلمة الله الذي هو واحد مع أبيه واتخذ طبيعتنا وتحمل الآلام لأجل خطايانا لكي نسامح ونتطهر منها ومن نتائجها المفزعة. أفلا يظهر لنا هنا مقدار محبة الله ورحمته وقداسته وكارهته للخطية وما من طريقة يعلن الله بها نفسه افضل من هذه أن أولئك الذين ذاقوا محبة الله ورحمته المعلنين في المسيح يسوع وقبلوا نعمة الله بخشوع وخضوع أولئك رغماً عما ارتكبوه من المعاصي عرفوا وتأكدوا انهم نالوا من إلههم الرحيم البار مغفرة الخطايا ونالوا قبولا منه تعالى من اجل المسيح الذي يتراءى ويشفع فيهم. أولئك عرفوا أن الله بمحبته ورحمته يعمل كل ما فيه الخلاص والسعادة الأبدية. إن المسيحي الحقيقي يعرف أن عين الله لا تغفل عنه فيطمئن باله ويلقي كل رجائه واعتماده على الله قائلا مع تلاميذ المسيح الحقيقيين " إن كان الله معنا فمن علينا الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء" (روميه ٨: ٣١ و ٣٢)

أولئك الذين اختبروا محبة الله في المسيح يسوع وقبلوها بكل قلوبهم لابد أن يحبوه ويطيعوا أوامره. ولان محبة الله قد انسكبت في قلوبهم بواسطة الروح القدس وبواسطة إيمانهم بيسوع المسيح فهم لا يشعرون بعد أن عبادة الله وخدمته عبئاً ثقيلا متعباً على كواهلهم بل فيها فرح قلوبهم لان الروح القدس نور يضيء للمؤمنين فيرشدهم إلى معرفة الله الحقة ويسكب عليهم النعمة والقوة لكي يقدروا أن يعملوا مشيئة الله ويطيعوا أوامره ويشعروا بالسلام والفرح والراحة الدائمة في دواخلهم ولكن كيف يتسنى للإنسان أن يؤمن بألوهية يسوع المسيح ما دام يرفض

تعاليم الكتاب المختصة بذاته المقدسة؟ فكل من يرفضها فقد رفض المخلّص الوحيد الذي هو الطريق الوحيد بين الله والناس ولا يمكنه أن يتأكد من قداسة الله وعدله ومحبته الكاملة ولا يمكنه أن يحب الله بل يؤمن ويرتعب كالشياطين "والشياطين يؤمنون ويقشعرون" وهذا الارتعاب لا يعطيه السلام والراحة بل يجعله تعيسا بائسا فلا يشعر بقيمة الخلاص ولا يفرح بمعرفة الله ومحبته ونور الرجوع عن الخطية وسعادة الولادة الثانية ولا بقبول الله له. فهو إما لا رجاء له مثقل بالمعاصي مهدد بالخوف من الموت وجهنم وإما يتوهم انه رجل صالح يصوم ويحج (يذهب إلى مكة) ويعمل أعمالاً أخرى يظن فيها الكفاية وهي لا تطهر قلبه النجس، وعلى مثل هذا الإنسان أن يصدق قول المسيح "فان كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون" (متى ٦: ٢٣) "ولا تريدون أن تأتوا إليَ لتكون لكم حياة" (يوحنا ٥: ٤٠)

ثالثا– حيث أن بني البشر خطاة فلا يقدر أحد ولو كان نبياً أن يخلّص نفسه أو غيره من الخطية ومن فظائع نتائجها وحيث أن الخطية هي ابتعاد عن الله بل هي داء عضال في الروح فالإنسان لا يقدر أبدا أن يصير سعيدا ما لم ينج من هذا الداء ويتحرر منه لان قداسة الله وعدله لا يسمحان بقبول إنسان ملوث بالذنوب والمعاصي. إذا فالكفارة ضرورية لكي تتم عدالة الله في إعلان محبته ورحمته. وهذه الكفارة تلين القلوب الحجرية وتقود الخطاة إلى التوبة باتضاع وخضوع. هذه الكفارة يجب أن تتم بإنسان معصوم من الخطية طاهر كامل غير مرفوض عليه خدمة الله حتى يتسنى له القيامة بخدمة الآخرين وأداء الفرائض المطلوبة منهم ويعينهم في سقطاتهم ونقائصهم وينيلهم أجرا واستحقاقا لان كل من هو خاضع تحت خدمة ما فعليه أن يقوم بتأديتها ولا يقدر أن يؤدي شيئا مما على الآخرين. يجب أن يكون مخلص العالم شخصا كاملا في الطهارة والعظمة كاملا في المجد لكي تناسب خدمته وطاعته وفضله وشفاعته عدالة الله وقداسته وتكون كفارته لخطايا العالم أجمع. يجب أن يكون المخلص الحقيقي والوسيط الوحيد كاملا بمعنى الكلمة وأن تكون ذاته إلهية. أن المسيح لو لم تكن له هذه الألوهية أي انه كلمة الله أو ابن الله واحد مع أبيه فلا يمكن أن يكون المخلص والوسيط الحق ولو لم يكن الكلمة قد صار جسدا وحل بيننا (يوحنا ١: ١٤) ولو لم يكن عمل الكفارة لأجل خطايانا وأطاع حتى الموت موت الصليب (فيلبي ٢: ٨) فلا يمكن أن يكون لنا سعادة ولا خلاص نحن البشر. ولكن حيث أن المسيح المعصوم الكامل الذي له الذات الإلهية قد صار كفارة لأجل خطايا العالم فكل من يؤمن به من صميم قلبه لابد أن يحصل على الغفران والفداء والخلاص. قال الرسول في (٢كورنثوس ٥: ١٩– ٢١) "أن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة. إذا نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بِر الله

فيه" ومعنى هذه الآيات أن المسيح بواسطة موته الثمين صار ذبيحة وكفارة تامة كاملة كافية لأجل خطايا العالم أجمع والله يغفر خطايا أولئك الذين يتوبوا توبة قلبية وينيبون إليه بالإيمان الحقيقي بواسطة يسوع المسيح الإنسان المعصوم الكامل الذي حمل خطايانا محبة في خلاصنا وكل الذين قبلوه مبررون فيه والله لا يقبلنا إلا في المسيح وفيه يمنحنا كل نعمة وبركة روحية. إن المؤمنين لا ينالون بركة الله والحياة الأبدية بواسطة ما يعملونه من الحسنات ولكن بواسطة محبته ورحمته في ابنه يسوع المسيح لأنه يستحيل على الخاطي أن ينال خلاصا لنفسه باستحقاقاته وأعماله الصالحة كما قال الرسول في (رومية ٤: ٣– ٥) "لأنه ماذا يقول الكتاب فآمن إبراهيم بالله فحسب له بِرا أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برا" كل من يؤمن بالمسيح فقد نال خلاصا ويعمل الصلاح بعد ذلك ليس لكي ينال الخلاص ولكن لأنه ناله واحب الله واحب أن يسير حسب دعوته والمحبة والمعروف تؤثر على الإنسان لعمل الصلاح اكثر من تخويفه من العقاب أو تشويقه إلى حسن الجزاء والخلاص هذا لا يمكن أن يبتاع لأنه يعطي من الله مجانا وبلا ثمن. من يحصل علبه يعتبره كهبة من الله "لأن أجرة الخطية هي موت وأما هبه الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية ٦: ٢٣) "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه... وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق إذ الجميع أخطئوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمة الفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره... ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع (رومية ٣: ٢٠– ٢٦) وقال الكتاب أيضا عن المؤمنين بالمسيح إيمانا صادقا "لأنكم بالنعمة مُخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس ٣: ٨و٩). ولذلك فكل من يؤمن إيماناً قلبياً مخلصاً بالمسيح يسوع ربنا ويقبله مخلصاً ووسيطاً وحيداً تغفر له خطاياه بمجرد هذا الإيمان ويعتق من الخطية ومن غضب الله ومن خوف جهنم النار الذي يرتعب منها الإنسان نفساً وجسداً عند ذكرها. ويكون قد عرف أن الله قبله وهو لا يستحق رحمته ومحبته وتأكد خلاصه المجاني في المسيح يسوع فيلهج قلبه بالشكر لله ويقول مع داود

"كما يترأف الآب على البنين يترأف الرب على خائفيه" (مزمور ١٠٣: ١٣). ويتأكد بعد ذلك أن كل ما يعمله أبوه السماوي يعمله لخيره ومنفعته وأن الصعوبات والآلام التي تقابله هي غلبة وفرح وسعادة ويكون اتكاله على الله تعالى كاملاً وصلواته وتضرعاته مقبولة أمام عرش الله. إن المؤمن عندما يذوق لذة الخلاص عطية المسيح، يمتلئ قلبه فرحاً ويتأكد أنه سيدخل في السماء حيث يتمتع بالحياة الأبدية والمجد الأبدي كما قال الرسول في (رومية ٥: ١–٨) "فإذ قد

تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ربما لأجل الصالح يجسُر أحد أيضاً أن يموت ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا." وقال أيضاً في (غلاطية ٣: ٢٦) "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" وقال في (رومية ٨: ١٥-١٧) "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه." ومعنى "ورثة الله" أن المؤمنين يشتركون مع الله في المجد والبركة التي يمنحها لهم هناك. وقد قال الرسول في (رومية ٨: ١٨) "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا." وقال في (١كورنثوس ٢: ٩) "ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه."

إن أبانا السماوي لا يمنحنا هذه البركات فقط في العالم الآتي ولكنه يمنحنا منها شيئاً هنا على الأرض كالمغفرة والسلام بل وأكثر من كل ذلك يمنحنا عطية روحه القدوس فتمتلئ قلوبنا بمحبة الله وبواسطة هذا الروح يمكن للمؤمن الحقيقي أن يعمل الصلاح والبر. يقول في (غلاطية ٥: ٢٢و٢٣) "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف ضد أمثال هذه ليس ناموس." إن النعمة التي يمنحها الله على المؤمنين بواسطة الروح القدس تُوجِد في نفوسهم الاشتياق لعمل الصالحات وتبعدهم عن الشر كما قال الرسول في (تيطس ٢: ١١-١٤) "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة."

وحيث أن تعليم الثالوث في وحدة الذات الإلهية يقودنا إلى فهم تجسد المسيح وطريقة الخلاص بواسطة وتأثير الروح القدس في قلوب وحياة أولئك الذين يؤمنون به وحيث أن الله قد أعلن لنا بهذا التعليم في كتابه الكريم قداسته ورحمته ومحبته، فالواجب أن نؤمن بهذه الحقيقة الظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار ونعتقد أنها مطابقة لعظمة الله ومجده وبدونها لا يمكن للإنسان أن يحصل على خلاصه وعلى السعادة الحقيقية في العالم الآتي.

وفي الختام يجب أن نبين لقرائنا الكرام أن نكران تعليم الثالوث يقود الإنسان إلى عدم الإيمان بألوهية كلمة الله يسوع المسيح ربنا ولكن من ينكر هذه الحقيقة فهو لا يعرف الله حق المعرفة لأن المسيح نفسه قال "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (يوحنا ١٤: ٦و٧).

وكل من لا يؤمن بكلام المسيح في الإنجيل فهو لا يؤمن به مطلقاً وكل من لا يؤمن بألوهيته لا يمكن أبداً أن يصل على معرفة قداسة الله وعدله ورحمته ومحبته ولا يمكنه أن يجد المخلص المعصوم والوسيط الوحيد ليخلصه من خطاياه ويمنحه الخلاص الأبدي والحياة الأبدية كما يقول الكتاب "كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً" (١يوحنا ٢: ٢٣). وقال أيضاً "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ٣٦). والإنجيل يعلمنا أن الله أعلن نفسه لشعبه بواسطة كلمته يسوع المسيح الذي فيه ظهرت رحمته وعدله بطريقة عجيبة والله لا يريد أن يهلك أحد من بني البشر بل "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تيموثاوس ٢: ٤). "لا يتباطأ الرب عن وعده... لكنه يأتي علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها" (٢بطرس ٣: ٩و١٠).

وصلواتنا من أجلكم أيها الأخوة الأحباء الذين مات المسيح من أجلكم وقام من الأموات أن يقودكم الله بواسطة روحه القدوس إلى نور إرشاداته وأن يقدركم على فهم ما دوناه من الآيات في هذا الكتاب وبواسطة هذه المعرفة الحقيقية الواضحة في الإنجيل والإيمان بالرب يسوع المسيح وحده تنالون الخلاص والسعادة الحقيقية والحياة الأبدية والله يهديكم إلى هذا الإيمان وينيلكم هذا الخلاص فهو محب رحيم. والغرض الذي تصبو إليه نفوسنا من تأليف هذا الكتاب هو أن نزيل الصعوبات والعوائق التي تحول دون قبول إخواننا المسلمين لكلام الله والإيمان بما أعلنه عن ذاته المقدسة وطريقة الخلاص بيسوع المسيح "لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤: ١٢). وليتمجد اسم الله له المجد والإكرام والحمد من الآن وإلى الأبد. آمين.

-انتهى-